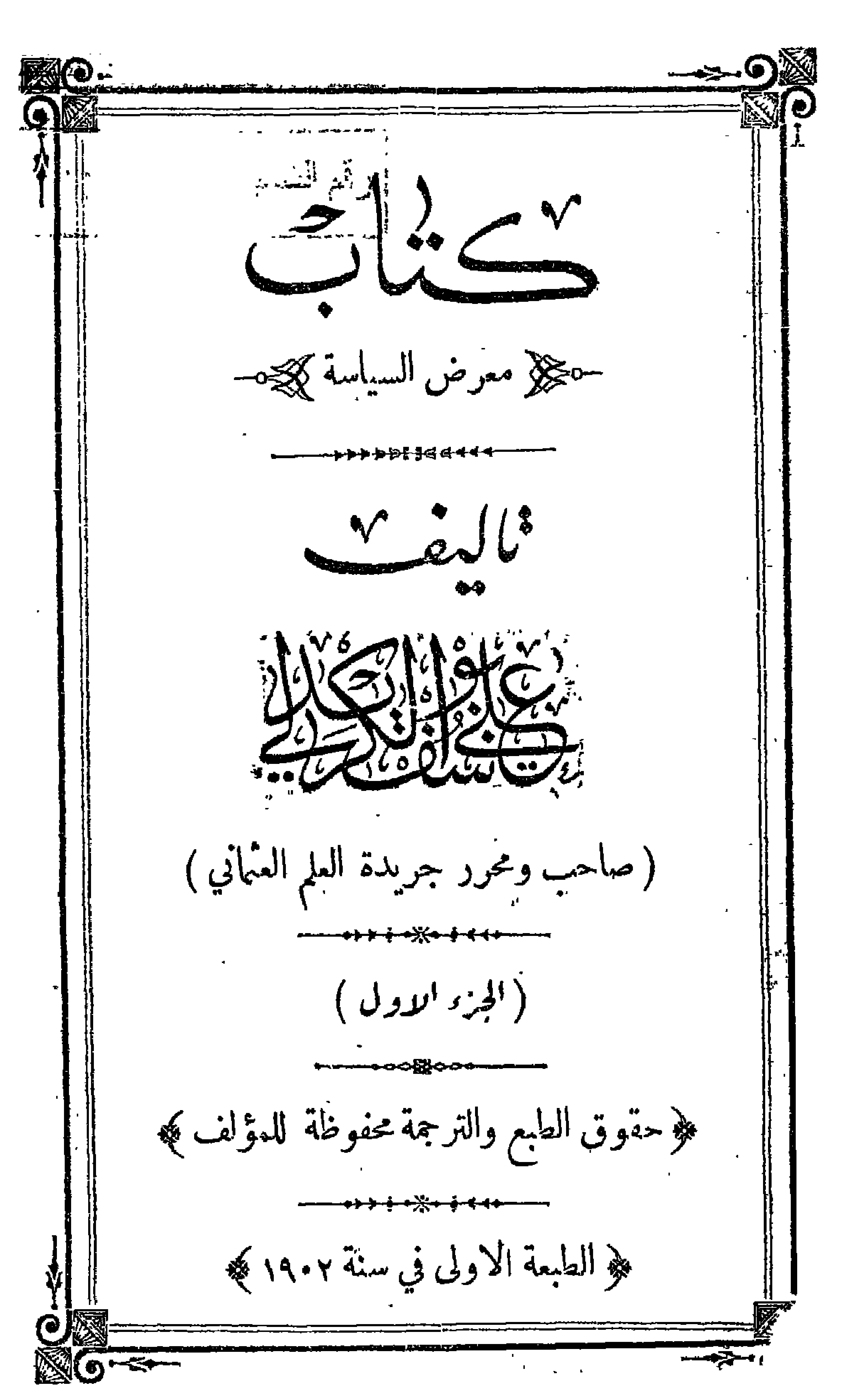


كتاب

معرض السياسة

تأليف

علي يوسف الكردلي

(صاحب ومحرر جريدة العلم العثماني)

(الجزء الاول)

الطبعة الاولى في سنة ١٩٠٢



الحمد لله وحدهُ * أما بعد فلما كان لكل دولة رجال ولكل رجال أعمال وكان للعائلة المحمدية العلوية حظ من الملك دوّنه التاريخ على صفحاته فأثبت للعالمِ ماقام به رؤساء تلك العائلة من الأعمال في سبيل نيل السلطان والنفوذ في هذه البلاد المصرية والاختصاص بإمارتها والانفراد والاستقلال بأحكامها الداخلية وكان لخديوينا المعظم عباس حلمي الثاني من بين تلك الأعمال مايضنّ التاريخ بإثباته وتدوينه * أردت أن أكون أول من سبق لاظهار ماوصل الى علمي من هذا القبيل ولكنني أراني مضطراً للالماع الى ماشغل أفكار أولئك الرؤساء الكبار الذين توارثوا الاريكة الخديوية من عظائم الأمور لأقارنها بما هو جار في مصر الآن من أعمال خديوينا الحالي حفظه الله وأبقاه فأقول

استولى محمد علي باشا على مصر في حين كانت أحكامها فوضى ولدولة المماليك بها من أعمال الظلم والجور ما أهلك النفوس وخرَّب الديار * فأجهد الفكرة وهيأ عدة المستطيع وبعث بالتدابير المهدة تحملها دهاة الرجال لقمع الثائرين في غرب البلاد وشرقها *وبالأستمرار والدأب على ذلك تمكن بعد معاناة الأخطار من إطفاء نار الهياج * ولما تمهد له صعب البلاد ودانت لطاعته الأعناق وقبض على خفي الامور وظاهرها طمحت نفسه الى نيل ماهو اسمى فسعى طاقته للحصول عليه وكان أول مطلب قصده برمايته تثبيت دعائم ولايته لعائلته من بعده بطريق الوراثة* فلماتهيأت لديه الاسباب واستتب له الحكم بعد مذبحة المماليك جرى في هذا السبيل وانتهز فرصة استنجاد الدولة به لتسكين بعض الفتن في بلادها*وبعد أن أسكن ريح تلك الفتن وأخمد لهيبها حيث كان هو الذي أشعل نارها*ثم استعمله من الدهاء ليجعلها سلما يوصله الى غرضه ورأى من نفسه القدرة على ضم تلك البلاد الى مصر وتتميم مابدأ فيه من تنفيذ ارادته وتحقيق ما مالت اليه نفسه من تحصله على منصب الخلافة المقدس أوغل في الاستيلاء على بلاد الدولة

شيئاً فشيئاً واخترق ابنه (وفي رواية أُخرى ابن زوجته)
ابراهيم باشا آسيا الصغرى حتى تهدد الآستانة * وبهذا ظهر
ما كان يكنه ضميره وعُلمت نياته الدولة فأرجعته الدول قهراً
عنه وأجبرته على ترك مااستولى عليه من البلاد العثمانية إجباراً
في نظير اعتراف الدولة العلية بتوريث ذريته حكم مصر من
بعده وبذلك نال بعض ما كان يشتهيه ويطمع فيه *وقد قضى نحبه
وفي نفسه أثر من تلك الامنية العظيمة التي كأنما هي متاع أوصى
به الى بنيه أو تركة ورثوها عنه كما ورثوا الخديوية المصرية الجليلة

هذه هي أهم أعمال محمد علي وابنه ابراهيم وهي بلاشك
ولا ريب تمزق قلب كل مسلم بل كل عثماني يغار على دولته
وامته وتجعله يسكب بدل الدموع دماً لأنها أضرت بالدولة
اضراراً بليغة وأفقدتها كثيراً من الاموال والرجال وكانت
سبب ضعفها وانحطاطها الى اليوم فلا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم * وقد جاء من بعدهما عباس الأول ولم يتركه
نزيل الجنان السلطان عبد المجيد خان بما استعمله من الطرق
الحكمية ان يتفكر فى الحصول على تلك الأمنية حيث زوج
ابنته الى ولده البرنس ابراهيم الهامي * ولو لا ذلك لأشهر

عباس العداء على الدولة ولزحف برجاله عليها وحاربها حرباً عواناً أشد من تلك الحروب الهائلة التي قام بها محمد علي وابنه ابراهيم وكانت سبب ضعف الدولة وخرابها كما ذكرنا بل سبب خراب الاسلام والمسلمين * ثم جاء من بعده سعيد وقد جعل همه العسكرية فرفع من شانها ودرَّب رجالها على التعليمات الحربية حتى أصبحت تضاهي أعظم جندية منظمة في العالم وكان قصده من ذلك الاستقلال التام دون الدولة وإنشاء دولةٍ عربية .... جديدةٍ * وقد أراد سعيد ان يستميل اليه العرب وأهل بلاد سوريا ليستعين بهم على عمله فزار الحرمين الشريفين متظاهراً باداء فروض الحج الشريف * واتفق هنالك مع مشايخ قبائل العرب على أن يثوروا على الدولة عند ورود الاشارة اليهم منه * ثم زار سوريا لهذا المقصد أيضاً وكان أثناء مسيره في الطرقات ينثر الذهب على الناس * وبعد ان عاد الى مصر وافته منيته وبذلك ابطل كل تدبير وحقنت دماء العباد واستراحت الدولة من العناء والشقاء * ثم أعقبه اسماعيل وما أدراك ما اسماعيل فنظر الى أوروبا نظرةً جعلته يحسدها على تقدمها في مدارك المدنية فأراد التقرب اليها ليستعين بها على نيل ذلك

المقصد الكبير .... « الخلافة » فتمسك بتقليدها وقلب هيئة البلاد المصرية من حالة الهمجية الى حالة التمدن وقد مهد لمقصده السبيل بالسعي فى حصر وراثة الامارة في الاكبر فالاكبر من ذريته وقد حصل * ولكن حال دون وصوله الى مقصده وضع المراقبة الدولية على تصرفه التي أفضت الى عزله واخراجه من البلاد * ثم جاء بعده توفيق وكان همه همّ مَن سبقه ولم يلبث أن قامت الثورة العرابية فأراد استخدامها فى هذا المقصد ... ولكن خاب أمله في الاحتلال كما يقول بعضهم وما كل ما يتمنى المرء يدركه (١) * فجعل همه تسكين الفتنة واصلاح الفاسد والتوفيق بين مصالح المحتلين ومصالح الوطن وأبنائه * هذا كان همّ أولئك السالفين عفا الله عنهم

---

(١) هكذا يقول بعضهم عن المرحوم توفيق باشا خديوى مصر السابق وعندي ان هذا القول ليس له أدنى نصيب من جانب الصحة * لان المرحوم المشار اليه كان رجلا عاقلا سليم النية طاهر القلب وكانت نفسه الشريفة نترفع عن الاشتغال بالاوهام والاحلام * ولم يشتهر عنه كما اظن الميل الى ما كان اسلافه يميلون اليه ويجتهدون في الحصول عليه * وكأنه كان يقول لنفسه « حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق » * ويجوز ان يكون قد سعى في هذا السبيل وعاد منه بخفي حنين

أما سمو العباس الشاب الكريم أيده الله فقد رأى ان الوراثة قد استتبت لأكبر البنين من العائلة فلا جدال فيها وان العسكرية قد انتظمت وبلغت منتهى الاصلاح وتسيطر السردار عليها وان أكبر دليل على انتظامها هو ارجاعها السودان الى حوزة مصر * ورأى أيضاً ان السودان لاتعوزه فكرة مفكر بعد تقرير حكمه لسعادة الحاكم العام وان المستر متشل قد اختص بالنفوذ فى الداخلية والمستر غورست فى المالية والمستر مكلريت فى الحقانية والمستر دنلوب فى المعارف وبالاختصار فان السلطة قد توزعت على رجال الاصلاح من المحتلين وان نفس مجلس النظار المشرف بقوته التشريعية والتنفيذية على جميع دوائر الحكومة ومصالحها اصبح ولا عمل له ولا راي الا مايقرره كل مستشار فى نظارته * وانه وان كان يجتمع فى بعض الاحيان تحت رئاسة الجناب العالي الا ان هذا الاجتماع هو صوري فلا رأي فيه لأحد غير ماقرره المستشارون * وان أشغال الخارجية واسقاط الوزارة وتنصيبها لايتم الا برضا ورأي رجل الاصلاح العظيم ومعتمد دولة بريطانيا العظمى فى مصر وهو فخامة اللورد كرومر * ورأى سمو العزيز كل

ذلك جاريا فى الحكومة وان النفوذ العظيم والحكم المطلق الذي كان للخديويين بلا قيد ولا قانون قد تداعت أركانهما وانهار بنيانهما فأصبح الامير والحقير والغني والفقير والكبير والصغير سواءً فى نظر القانون وصار الناس بفضل هذه الايام وعدالة رجال الاصلاح فى امن وامان لا يخيفهم تهديد ولا يضرهم وعيد حتى اذا طمع زيد من الناس فى قيد شبر من ارض عمرو «مثلا» وأراد ان يأخذ منه تلك الارض قوة واقتداراً يقوده الى القضاء العادل فيوقفه القضاء عند حده ويقيده القانون بأحكامه كما حصل ذلك فى قضية رجل من أعظم رجال الامة المصرية شهامةً وغيرةً ووطنيةً وهو سعادة المفضال السيد حسن موسى العقاد الغني بشهرته عن التعريف مع آخرين بل كما يحصل كل يوم بين الناس وبعضهم * فسبحان مَن يعز من يشاء ويذل مَن يشاء وهو الفعّال لما يريد

لما رأى سمو العزيز حفظه الله وألهمه الحكمة والصواب كل ما ذكرناه بوجه الايجاز من توزيع السلطة على رجال الاصلاح من المحتلين وغير ذلك أعمل الفكرة فيما يشغل أوقات فراغه من الاشتغال بمزارعه الخصوصية حتى بدت له من خلال تلك

الأفكار العالية بارقة أمل فتمسك بها وعمد الى تحقيقها * اما تلك البارقة فهي كما يقول بعضهم سعي سموه فى الحصول على ذلك المقصد الكبير .... الذي كان يحلم به اسلافه العظام غفر الله لهم

والذين يقولون هذا القول يؤيدونه بما كان من أمر توجه سعادة الأمير عزيز بك حسن ابن عم الجناب العالي الى بلاد العرب من زمن غير بعيد وبفراره منها حيث كاد ان يقع فى قبضة رجال الدولة العلية كما نشرت ذلك الجرائد الحرة في حينه وعلمه مئات الألوف بل الملايين من الشرقيين والغربيين * ويؤكدونه بقولهم ان تلك السفرة لم تكن لتبديل الهواء بل كانت لايصال اوراق وخطابات خصوصية مهمة .... مختومة بالشمع الاحمر الى رؤساء ومشايخ قبائل العرب ولولا ذلك لما ولى الامير المشار اليه الادبار وركن الى الفرار ولما جرى خلفه رجال الدولة العلية للقبض عليه وضبط تلك الأوراق * ويعززونه أيضاً بما ينشره المؤيد الذي يدعي صاحبه انه لسان حال سمو الاميرالجليل من القصائد البليغة التي تشير بأفصح لسان وأجمل بيان الى أن سموه يسعى في الحصول على ما ذكرناه * ومن ذلك قول أحدهم فى قصيدة نظمها عند سفر الجناب العالي الى السودان

ونشرها المؤيد تحت عنوان «الى عزيز مصر ومليك السودان» في العدد ٣٥٢٢ الصادر في يوم الاربعاء ١٥ شعبان سنة ١٣١٩ * ما يأتي

عباس للايمان والسلطان وال * أوطان ما أصبحت فينا منزعا
مازال وعد الله بين عباده * حتى رأوك وفاءه المتوقعا
فادع الشعوب الى الخلافة جامعاً (١) * في الله بين الدين والدنيا معا
واجعل لها في كل قطر مبعد * عنها مناراً أو طريقاً مهيعاً
لازلت ميمون التنقل محييا * لمقامك المصطاف والمتربعا
ورعاك مَن اعطاك حكماً عادلا * وهدًى تسوس به ممالك اربعا

هذا ما يقوله ذلك البعض وهو ما لا أصدقه ... ولا اريد ان أصدقه مطلقاً ... وان كانت الأدلة على صحته قوية * لعلمي ان الحصول على تلك الامنية العظيمة ... وذلك المقصد الكبير .... يحتاج الى قوة كبيرة ويتوقف على جملة شروط خطيرة

فأما القوه فقد تبين لنا مما ذكرناه من توزيع السلطة على رجال الاصلاح من المحتلين ان لا حول لنا ولا قوة ولا طاقة

(١) كذا كذا (٢) يعني الشاعر بذلك : مصر والسودان والشام والحجاز : فاقراء واضحك وتأمل وتعجب

لنا على أي عمل ولا تنفيذ ارادة ولم يبق لنا من الأمر غير ركوب الهجن والانتقال من هنا الى هنا والتصديق على مانؤمر بالتصديق عليه رغماً عنا والتمتع ساعة أو ساعتين بمشاهدة بعض زينات واحتفالات تقام فى بعض الجهات مرة أو مرتين فى كل عام تارة تملقاً ورياءً وحباً فى الشهرة وذكر الأسماء على صفحات الجرائد وطوراً باكراه الناس واجبارهم على اقامتها كما حصل ذلك فى بعض البلاد وثبت رسمياً وكانت نتيجته العزل والطرد (١)

---

(١) ألم يكن الاجدر بأولئك الذين يتاجرون بالوطنية وهم لا يعرفون منها غير الاسم ويكتتبون بالعشرات والمئات من الجنيهات حبا في الشهرة الكاذبة لإقامة زينة لا تفيد الامة بشيءٍ مطلقاً ولا تدل على ان هنالك عظمة أو جاه أو نفوذ او سلطان ان يصرفوا تلك الأموال الطائلة فيما يخلد لهم حسن الذكرى وجميل الاحدوثة في الحياة وبعد الممات ويعود على الأمة بالنفع العميم والخير الجسيم ؟ * ألا يجمل بنا وقد اختبرنا الأحوال وانكشف لنا الستار وفضحنا التعداد الأخير فضيحة كبرى لا تغتفر ولا يحسن السكوت عليها وعلمنا ما نحن فيه من الانحطاط الهائل والجهل العظيم ان نصرف تلك الاموال في مساعدة الجمعية الخيرية الاسلامية او جمعية العروة الوثقى وغيرهما من الجمعيات القائمة بخدمة العلوم والمعارف وتعليم ابناء الفقراء من العباد كما تفعل الأمم الحية بدلا عن صرفها في مثل تلك الامور الصبيانية التى ربما أضرت من بعض الجهات ؟ * أفيدونا

هـذه هي قوتنا وهذا هو حالنا وشأننا اليوم في مصر وهو ما يسر العدو ويبكي الحبيب : أليس كذلك ؟ * فما بالنا اذن اصلح الله حالنا لا نبكي بكاءً مراً ونسكب بدل الدموع دماً على ما أصابنا من الذل والهوان وضياع النفوذ والملك والسلطان ؟ * وما بالنا لا نترك الاشتغال بما تزينه لنا الأوهام والأحلام ويُضحك علينا الخاص والعام ؟

وأما تلك الشروط فهي العقل والفهم والدراية والنباهة والذكاء وطهارة الضمير وحسن النية والصدق والأمانة * وهذه وان توفر جميعها في سمو العزيز المعظم الا أن هناك شروطاً أُخرى نبه عليها المتكلمون وعلماء الأُصول واشترطوا توفرها فيمن يجلس على كرسي الخلافة الاسلامية كالعلم بأُصول الشرع الشريف وفروعه والاقتدار على حفظ بلاد الاسلام والمسلمين والدفاع عنها وعنهم عند مسيس الحاجة وغير ذلك * فهل هي متوفرة في سموه أيضاً أم لا ؟ * ذلك ما أرجو الجواب عليه

= أيها العقلاء أي العملين أشرف وأعظم وأكثر ثواباً وادعى الى الشهرة واحب الى الله تعالى ؟ * هل هذا الذي يخلد ذكره الى أبد الآبدين ودهر الداهرين أم ذاك الذي يمحي أثره بعد ساعة أو ساعتين ؟؟؟

من الفضلاء والعقلاء وأترك البحث فيه الكتاب البلغاء

هذا وقد تكلمت بعض الجرائد فى هذه الشهور بطريق التلميح لأمر يدركه اللبيب عن مسألة دولة الوزير الخطير والشهم الهمام محمود باشا داماد ونجليه الكريمين الجليلين وعما حدث بين دولته وبين سمو الجناب العالي من المسائل التى تضحك تارة وتبكي أُخرى * وعن شيء يقال له المطالب الستة وعن جمعية تسمى « شفق » الى غير ذلك من المسائل المهمة التى أدهشت العقول وحيرت الألباب وجعلت النفوس تطمح الى معرفتها والوقوف على حقيقتها * لذلك رأيت وأنا الخبير بما هنالك ان أشرح هذه المسائل وغيرها مما يتعلق بها شرحاً وافياً وأُفصلها تفصيلاً كافياً شافياً بقلمٍ حرٍّ لايخشى فى الحق لومة لائم * ولا غرض لي من تأْليف هذا الكتاب الذي ستنكشف مقاصد ابطال السياسة في سطوره انكشافاً وتتجلى السرائر فى فصوله تجلياً فيندهش الناس من ذلك ويعلمون ما هنا من العجائب والغرائب كما علموا قبل الآن ما هنالك من المصائب والنوائب الا إظهار الحقائق وخدمة التاريخ وللتاريخ حقوق يجب الوفاء بها وتحويل قلوب المغرورين

بظواهر ماهنا الى التمسك بمبادىء الحق الصريح الواجبة مراعاته على كل فردٍ من أفراد الهيئة الاجتماعية عظيماً كان أو حقيراً

وقد سميت كتابي هذا « معرض السياسة » لاحتوائه على امورٍ غريبةٍ ومناظر سياسيةٍ عجيبةٍ تمثل حال رؤسائنا ومرؤسينا وجعلته مشتملا على جزئين هـذا هو الاول منهما وهو يحتوي على ثلاثة فصول وخاتمة

(الفصل الاول) يحتوي على تفصيل مسألة دولة الداماد وما كان من أمره مع الجناب العالي وعلى الولائم التى أُولمت لدولته وغير ذلك مما يتعلق بهذا الشأن

(الفصل الثانى) يتضمن الكلام على جمعيـة « شفق » وكيفية تأسيسها والغرض منها وعلى إيواء الاحرار وذكر المطالب الستة التى طلبت من جلالة السلطان الاعظم نظير اقناع دولة الداماد بالرجوع مع نجليه الى الآستانة واسقاط حزب الاحرار العثمانيين فى مصر

(الفصل الثالث) يتضمن الكلام على ايعاز المعية الى فريق من الاتراك الفارين من تركيا باضطهاد المطبعة العثمانية وإغلاقها وأسباب ذلك مما لا ينطبق على مبادئ الحرية والدستور

وفي هذا الفصل امور مدهشة تضحك العقلاء * وبحثهم في مسئله ليون فهمي الأرمني المفقود التميس الحظ ويتلو ذلك خطاب مرفوع الى عدالة رجال الاصلاح من المحتلين بطلب اعادة التحقيق فى هذه المسئلة الخطيرة المزعجة

أما (الخاتمة) فتحتوي على إظهار أفضلية جلالة مولانا السلطان الأعظم على سمو الجناب الخديوي المعظم من كل وجه واثبات ذلك بالادلة القاطعة والبراهين الساطعة

وأما (الجزء الثاني) فنثبت فيه أهم مايختص بالسياسة المصرية العامة وما حدث فيهامن الانقلاب وتخللهامن الألاعيب منذ تولية سمو الجناب العالي قرة العيون وبهجة النفوس على الأريكة الخديوية الجليلة الى الآن والأخطار التى تهدد مركز سموه بسبب المقربين اليه ونتكلم فيه أيضاً على جواسيس المعية الذين لم نعهد لهم وجوداً في غير هذه الايام وعلى أعمالهم الممقوتة والى غير ذلك مما يهم الرأي العام الوقوف عليه

والخلاصة ان كل ما تضمنه هذا الكتاب هو حقائق ثابتة لامرية فيها ولا فرية * وأسأل الله الكريم ان يديم سمو عزيز مصر المعظم نصيراً للعدالة والفضيلة وان يثبت أقدامه فى

خدمة الأمة والدولة والاسلام والمسلمين وان يهدينا جميعاً الى سواء السبيل لنخدم الاهل والديار انه العزيز الجبار القوي القهار

الفصل الاول

فى الكلام على مسئلة دولة الداماد وما كان من أمره مع الجناب العالى وعلى الولائم التى أولمت لدولته وغير ذلك

قبل ان أتكلم على هذه المسئلة المهمة الغريبة في بابها أرى من الواجب ان أعرفك أيها القارئ الكريم بدولة الوزير الخطير والشهم الهمام صاحب الوقار والكمال والفخار والجلال محمود باشا داماد الغيور على دينه ودولته وبنجليه الكريمين الجليلين المشهود لهما بالتدين والصلاح والفضل والنبل والفطنة والذكاء رغماً عن أعدائهما الذين أشاعوا عنهما ماشاؤوا وشاءت الاغراض والاهواء لتكون على بينة من حقيقة أمرهم فأقول

ان دوله الباشا المشار اليه هو صهر جلالة مولانا السلطان الأعظم عبد الحميد خان الثاني حفظه الله * وهو عالمٌ جليل وكاتب مجيد وشاعر مطبوع له من المؤلفات العظيمة مايشهد

له بطول الباع في المعقول والمنقول * وقد اشتهر في الآستانة وسائر البلاد العثمانية بالغيرة الشديدة على الدولة والملة والتقوى والصلاح والورع والشهامة وحب الخير للعموم ومساعدة الفقراء والضعفاء ولذلك فان جميع الاتراك والعثمانيين يُعظمونه ويحبونه حباً شديداً ويدعون له بكل خير

هذا الرجل العظيم رجل الجد والنشاط والهمة والأقدام حاز جميع نياشين الدولة ومنتهى رتبها وأعلاها وهي رتبة الوزارة السامية * وكان في هناءٍ وصفاءٍ وعيشةٍ راضيةٍ ونعمةٍ كبرى وراحةٍ تامةٍ وهو من أغنى الأغنياء عن جدهِ وأبيهِ رحمة الله عليهما * وزد على ذلك ان ما كان يأخذه دولتهُ ونجلاه الكريمان وحرمهُ المصون من الرواتب يبلغ ألفي ليرة في كل شهر

وأما نجلاه الكريمان السعيدان صاحبا السمو البرنس صباح الدين والبرنس لطف الله فيكفي ان نقول عنهما انهما حفظهما الله شبّاً على الفضائل والكمالات ونشآ على حب النظام والدستور والخير للعباد والبلاد ودرسا الفنون والعلوم على أفضل الاساتذة والمعلمين واعتنى والدهما الجليل بتربيتهما أحسن تربية

اذا تقرر هذا وعلمتهُ أيها القاريُّ الذكي فاضرب عرض

الحائط بما سمعتهُ وتسمعهُ من أقوال الوشاة الذين يرمونهم لأغراض سافلةٍ بما ليس فيهم ويتهمونهم بأعمال ما أنزل الله بها من سلطان * واعتقد بأن الرجل ما كان في احتياج الى الرتب والنياشين ولا في عوزٍ الى المال كما يرميه بذلك الاعداء حيث لم يكن ينقصه شيء من ذلك مطلقاً كما أثبتنا لك ذلك بالدليل القاطع والبرهان الساطع

هجر الرجل « دار السعادة » وقصد أوروبا وأخذ معه نجليه لأسباب سياسيةٍ يعلمها كل الناس من قاصٍ ودانٍ * وبمجرد وصوله اليها أخذ يكتب في أشهر جرائدها المقالات الطويلة بطلب الاصلاح ويرسل هو ونجلاهُ التقارير العريضة والتلغرافات العديدة الى جلالة السلطان بما ذكر * وقد قام المابين من أجل ذلك وقعد وهاج وماج واجتهد رجاله في ردّه الى حظيرته فلم ينجحوا

ولما كان دولته في جنيف سافر الجناب العالي اليهاوزاره فيها فرد دولتهُ الزيارة ثم حصلت بينهما مخابرات كثيرة بواسطة دولة الأمير الفخيم محمد علي باشا حليم الذي زيَّن لسمو العباس التداخل في الأمر وشرح له الفوائد الجمة التي تعود عليه من

وراء ذلك * وفي أثناء المخابرات المذكورة أقرضه سموه الف ليرة على دفعتين ووعده بكل خير ومساعدة وأراد من تلقاء نفسه أن يُصلح ذات البين بينه وبين جلالة السلطان للمطالب الستة التي سيأتي الكلام عليها بكل تفصيل فأبى الداماد ذلك كل الاباء

وقد قدم الجواسيس في أوروبا وأحد سفراء الدولة فيها التقارير الضافية الى جلالة السلطان يقولون فيها « ان خديوي مصر اتفق مع محمود باشا داماد ونجليه على مقاصد سيئة تتعلق بحياتكم الشريفة أو بخلعكم » فلم يهتم جلالته بها ولم يصدقها بل ضرب بها عرض الحائط ولكنه لم يرض بتداخل الجناب العالي في المسألة ورفض توسطه بينه وبين صهره لحكمة لا نعلمها وربما كان ذلك تخلصاً من المطالب الستة

فلما علم الجناب الخديوي العالي أدامه الله وحفظه للاسلام والمسلمين ان جلالة سيده السلطان الاعظم لا يقبل وساطته للداماد أراد لأمر في نفسه دعوة الداماد الى مصر فدعاه اليها ووعده بالمعاونة لنجاح المقصود بدعوى انهما يجتهدان في مصر فيما يتعلق بتنوير المسلمين وحثهم على طلب الاصلاح في

الممالك العثمانية ومطالبة جلالة السلطان بكل الطرق لاجباره على ذلك الاصلاح * وهذا كله قد تقرر بينهما ان يكون بفتح المطابع وتأليف الكتب ونشر الرسائل المفيدة النافعة وجمع الاعانات من المسلمين مابين مشارق الارض ومغاربها للسعي فيما ينقذهم من البوار وينفعهم ماديًّا وأدبيًّا * فاستشار الداماد نجليه في هذا الامر فأشارا عليه بعدم الانصياع وطلبا منه عدم التوجه الى مصر وان لايقبل شيئاً من الجناب العالي وان يرد اليه ما أخذه منه فلم يسمع كلامهما بل خطَّأَهما في رأيهما

هكذا كان الاتفاق بين الجناب العالي ودولة الداماد وعلى هذا حضر دولته مع نجليه وحاشيته الى الاسكندرية ونزل في أوتيل آبات وكان ذلك في يوم الاحد ٢١ جماد أول سنة ١٣١٨ (١٦ستمبر سنة ١٩٠٠) وعند تشريفه أولم الجناب العالي الولائم الفاخرة له ولنجليه في سراي المنتزه العامرة ورتب لهم ٦٠٠ جنيه في الشهر على سبيل الاقتراض

ولما علم جلالة السلطان الاعظم ان دولة صهره الكريم حضر الى القطر المصري طلب من الانكليز أن يخرجوه منه

فتوجه جناب السير رنل رود [1] الذى كان سكرتيراً أولاً لفخامة الشهم الهمام اللورد كرومر قنصل جنرال ومعتمد دولة بريطانيا العظمى في مصر بناءً على أمر الوزارة الانكليزية الى دولة الداماد حيث كان فخامة اللورد في أوروبا وقال له فى سياق الحديث معه « نحن لا نريد ان نعادي جلالة السلطان فى هذه الايام فنرجوك ان لا تشتغل بما يدعو شكاية جلالته منك » ولم يقل له ان الانكليز يخرجونك من مصر * ولكن المعية السنية اشاعت في طول البلاد وعرضها ان الانكليز يريدون ان يخرجوا محمود باشا من مصر بالقوة اذا اقتضى الحال وان سمو الخديوى المعظم لم يرض بذلك بل قاومهم مقاومةً شديدةً مستنداً على دستور مصر فى مثل هذه المسائل * وتقصد بهذه الاشاعة تثبيت دولة الداماد على العهد الذى عاهده عليه الجناب الخديوى العالي في جنيف

---

(١) برح جناب السير رنل رود العاصمة في يوم الاحد ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠١ قاصداً رومه عاصمة ايطاليا حيث عين سكرتيراً أولا للسفارة الانكليزية * وقد أسف على فراقه جميع معارفه لما كان متصفاً به من لين العريكة وحسن الاخلاق

وقد حدث فى هذه الاثناء ان فخامة اللورد كرومر مصلح مصر العظيم حضر من اوروبا وجاء الى مصر وانتقل دولة الداماد مع نجليه وحاشيته من الاسكندرية اليها ونزل في اوتيل كونتننتال ثم توجه لمقابلة فخامته * فقابله فخامته بما جُبل عليه واشتهر به من البشاشة واللطف وكرم الاخلاق وقال له فى سياق الحديث معه « نحن لا نريد أن نؤذيك ولا نترك احداً ان يمس كرامتك بشيءٍ ولكن الاحوال الحاضرة توجب علينا ان نصافي جلالة السلطان فى هذه الايام فنرجوك ان تجتنب مايُغضب جلالتهُ ويؤُول الى اقلاق راحتنا » * ولكن المعية السنية كانت تكتب الى الآستانة انها هي التي تُسكت دولة الداماد وتمنعه من الكتابة ضد السلطان

هذا وقد اراد سمو العباس الذي كثرت المخابرات التلغرافية بينه وبين المابين بخصوص دولة الداماد ان يستولي على فؤاد دولته فأظهر له كل رعايةٍ وتلطف واهتمام براحته وراحة نجليه الكريمين واخذ ينفق عليه ويقرضه من المال مايحتاج اليه حتى انه استاجر له منزلا برياشه واثاثه بمائة ليرة فى كل شهرٍ وأشار عليه بان ينتقل اليه من اللوكندة فأجاب

الطالب متأففا متضجراً *ولم يقصد سموه من كل هذا التلطف الا ان يخجل الداماد ويجبره على الرجوع الى الآستانة في أقرب وقتٍ ليحصل على رغباته * وبعد ان أقام دولته في المنزل المذكور مدة شهرين قُطع المرتب عنه لأسبابٍ يدركها الالبيب* ولم يمض على ذلك شهران آخران حتى أقبل عيد الاضحى فدعا الجناب العالي في اليوم الثاني منه نجلي الداماد الى سراي عابدين العامرة وقال لهما « اني انفقت عليكم مالاً طائلاً والآن قد قطعت الراتب عنكم ولا بد من ان تعودوا جميعاً الى الآستانة »وأخذ يكلمهما بمثل هذا الكلام اللطيف حتى هاجت عواطف الكبير منهما وهو سمو البرنس صباح الدين وخاطب الحضرة العباسية بما نعلمه ولا يليق بنا ان ننشره هنا احتراماً للمقام السامي* ثم خرجا من عنده وتوجها الى والدهما الجليل وقصا عليه ماحصل فتكدر خاطره الشريف وعزم على الرحيل من هذه الديار حيث قد تحقق له ان الجناب العالي أعزه الله تعالى وحفظه للاسلام والمسلمين لم يقصد مما قاله له وأنفق عليه معه في جنيف الا الحصول على آماله وامانيه * وما لبثنا بعد ذلك يوماً أو بعض يوم حتى رأينا الجرائد الفاسدة قامت تطعن على

بجلي الداماد طعناً فاحشاً وتهمهما بسوء العقيدة لتهييج الخواطر عليهما وتحويل القلوب عنهما وتنفير الناس منهما وكوفئت على ذلك بثلاثة آلاف جنيه اقتسمها شيخ الصحافة المصرية والاديب الوسواس الذي يوسوس في صدور الناس «ابو خليل السروجي» كما شاع ذلك وذاع وملأ الافواه والاسماع

ولما تبصر سمو افندينا المعظم في الأمر بحكمته المشهورة علم ان السياسة لم تؤد الى الغرض لخور السير بأن أرسل حضرة عزتلو الفاضل أحمد بك شفيق أحد رجال معيته وحضرة دولتلو الأمير الفخيم محمد علي باشا حليم وهما من أبطال السياسة الى دولة الداماد ليعتذرا له بلسانه عما وقع ويرجواه باسمه في عدم السفر والاقامة اسبوعاً وكان ولداه قد سافرا الى اوروبا * فلما دخلا عليه وكان قد تهيأ للرحيل وقطع تذاكر السفر لنفسه ولمن بمعيته أخذا يعتذران له عما وقع ويطلبان منه ما كُلفا به وقام شفيق بك ورفع يديه الى السماء ماسكاً طربوشه باليمنى كمن يستقبل القبلة ويطلب من الله حاجةً وقال « والله : وبالله وتالله : ان سمو الخديوي لم يرد لدولتكم سوءا وهو مستعد لارضاء دولتكم بكل عزيز فلا تصدقوا وشاية الوشاة الذين

يريدون لإيقاع الخلاف والنفور بينه وبينكم » وكان دولة زميله يزكّي شهادته طبعاً ويقول « والله ان مايقوله البك صحيح » وأخذ يكرر هذه العبارة ويكثر من الايمان المغلظة * ولما سئم الداماد هذه الايمان التفت الى حضرة عزتلو صالح بك وكيل دائرته الذى كان بالقرب منه فقال له حضرته « يامولاي العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن » وعلى هذا قَبِلَ دولته بالبقاء اسبوعا

هذا وقد حصل بعد ذلك ان سمو الجناب العالي أرسل الى دولته أحد ياورانه يرجوه الحضور الى قصر القبة العامر لمقابلة سموه فرفض الطلب أولا ثم قبِلَه ثانياً حيث أكثر الرسول من عبارات التضرع والالتماس * ولما توجه الى القبة مكث في انتظار سموه عشر دقائق فلم يخرج اليه ثم انتظر مثلها فلم يخرج اليه أيضاً بل أرسل يعتذر له عن هذا التأخير بحجة انه يشتغل بتهيئة دولة والدته الجليلة المصونة للسفر الى الآستانة * فعدّ دولته هذا الامر اهانةً له وعاد من حيث أتى رغماً عن شفاعة رجال السراي بعدم الخروج * ولما توجه الى المنزل أخذ يهيي نفسه للرحيل وارسل الى الجناب الخديوى

المعظم يقول « اني أشكرك على مافعلته معنا من الجميل حيث اقرضتنا كثيراً من المال وارجوك ان تجمع السندات المأخوذة عليّ بما اخذته منك لا وحدها فى سند واحد وعند ماعود الى الآستانة ادفع ديني اليك مع الفائظ » * فأرسل سموه اليه الامير محمد علي حليم ليخبره ان السندات قد فقدت وقد جرى البحث عليها فلم توجد وانه يطلب منه ان يكتب بمجموع تلك المبالغ كمبيالة بخطه ويمضي عليها بامضائه فامتنع دولته عن ذلك وقال له « لا بد من احضار السندات وتوحيد مجموعها فى سند واحد »

ولما أُخبر الجناب العالي بذلك وعلم ان السياسة قد فشلت وان سفر الداماد قد تحقق نظر سموه الى الأمير المشار اليه وقال له « كيف أفعل الآن للحصول على المبالغ التى دفعتها للداماد وكنت انت السبب فى ضياعها مني » فاخذ هذا يطيب خاطره الشريف بكلام لطيف * وبعدئذ ظهرت السندات المذكورة التى كانت فقدت . . . فاخذها الأمير محمد علي حليم لتوحيد مبالغها بالاشتراك مع حضرة عزتلو محمد عزت بك رئيس قلم تركى المعية السنية * وبعد ان جُمعت المبالغ المذكورة توجه الامير المشار اليه الى دولة الداماد وقال له ما معناه « اننا بحثنا

عن السندات فوجدناها وجمعنا ما فيها فوجدنا الكمية قد بلغت ستة آلاف جنيه » ثم طلب منـه ان يكتب كمبيالة بها فامتنع دولته عن اعطائها لتنبهه الى المقصود منها ولم يكتب الا سنداً عاديا * وقد أضاف الى هـذا المبلغ ألفي جنيه فى مقابلة الولائم الخديوية التى اولمت له ولنجليه وفى مقابلة كل ما أخذه دولته من سمو العباس الـكريم على سبيل الهـدية ومن ذلك عدة علب للنشوق أهداها سموه اليه

ولما أحسّ دولته ان رجال المعية يشيعون عنه فى كل واد أموراً تحط من قدره وكرامته كتب توكيلا عاما لأحد رجال معيته عن يد محام امام المحاكم المختلطة مشهور بالصدق والاسـتقامة يوكله به فى جميع القضايا التى ترفع منه أو عليه * وقد توجه هو والمحامي وبعض رجال معيته الى المحـكمة المختلطة لتسجيل هذا التوكيل الذي لا يخفى على اللبيب المقصود منه * ثم سافر الى الاسكندرية ملتحقاً بولديه آسفاً على مخالفته لرأيهما الذي أشارا به عليه فى جنيف شاكراً المولى سبحانه وتعـالى على ذكائهما ونباهتهما معجباً بفراستهما وبُعـد نظرهما * وكان فخامة اللورد كرومر المعظم قد أرسل اليه قبل ذلك يقول «اذا

أردت أن تحضر فى العام الآتي فعلى الرحب والسعة ».

هذا وقد شاع حينذاك وذاع وملأ الافواه والاسماع ان المعية السنية المشهود لها بالشهامة وعزة النفس وكرم الاخلاق وحسن الآداب أوعزت الى فريق من الناس بأن يجتمعوا فى المحطة ويهينوا دولة الداماد بالصفير والضجيج عند قيام القطار به كما علمناه من ثقة ولكن لم يحصل شيء من هذا لأن دولته كان قد عزم على السفر فى وابور الصباح ولكن لأسباب صحية عنّ له السفر بعد الظهر فسافر ولولا ذلك لحصل ما لا يستحسنه عاقل * ويقال أيضاً ان المعية السنية أوعزت الى أحد جواسيسها « الطرابلسي » بأن يتوجه الى الاسكندرية فى القطار الذى يركبه الداماد ليقوم هناك بمهمة شريفة كالتى سبق ذكرها بالاشتراك مع من يستأجرهم لذلك من الاشراف .... ففعل * ولما وصل الوابور الى محطة سيدي جابر نزل فيها الداماد وقصد احدى اللوكندات بدون أن يراه ذلك المندوب العالي الذي حار فى أمره ولم يلبث عند ما وصل الوابور الى الاسكندرية ولم ير الداماد فى المحطة حتى أخذ يطوف الشوارع العمومية ويفتش عليه ويبحث عنه هنا وهناك حتى

علم مكانه فهدأ باله ... واطمئن خاطره ... وتحقق له حسن المآل ..* وكان أبو خليل السروجي مدبر الجمهور بالفكر الثاقب ورئيس أركان الحرب في جيش جواسيس المعية السنية على الاطلاق قد سافر الى الاسكندرية في الوابور الثاني للمداولة مع الطرابلسي فيما يجب ان يكون وما ينبغي أن يعمل تحقيقاً للرغبة الشريفة وتنفيذاً للأمر المطاع * فاستقر رأيهما على تأليف جيش من الاشراف .... وانتخبا لقيادته اثنين من مهرة القواد وأعاظم الاشراف احدهما اسمه حسنين القهوجي والآخر اسمه جعفر الكريدلي وهو خادم في احدى اللوكندات* واتفقا على زمان ومكان يجتمع فيهما الجيش ويستعد للهجوم عند مرور الداماد بعربته وتوجهه الى الكمرك لركوب السفينة* وقد أصدر رئيس أركان الحرب أمره بأن يكون الهجوم بالصفير والضجيج وضرب العربجي وبالتعدي على الداماد بما لا يرضاه انسان من العقلاء فيما اذا دافع دولته عن العربجي * ولما أحسّ بذلك الداماد بواسطة احد أصدقائه من الاحرار قصد الجمرك قبل الميعاد المذكور من طريق آخر وبهذا أُبطل كل تدبير وتقهقر ذلك الجيش بغير انتظام وذهب ماصُرف من

المال في هذا السبيل الشريف ... ادراج الرياح فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وعند مارأى رئيس أركان حرب جيش الجواسيس ان خطته الحربية لم تؤد الى الغرض المقصود وان الجيش قد «انكسر» أراد أن يتخلص من المسؤولية... فرفع تقريراً الى محل «الايجاب» يتهم فيه الطرابلسي بأنه هو الذى كان السبب فى فشل الجيش وتقهقره بغير انتظام وانه هو الذى أخبر الداماد بتلك المكيدة فقضى عليها وتخلص منها بحكمته * وبسبب هذه التهمة قُطع مرتب هذا المسكين قطعاً وطرد من الخدمة الشريفة طرداً * وبيان ذلك انه توجه ذات يوم لقبض راتبه كعادته وعادة غيره من زملائه فقيل له «توجه الى علي بك شاهين» فلما توجه اليه لأخذ راتبه قال له شامخاً بأنفه «اذهب وشمّ عزت» فتوجه لشمه فأحس برائحة لاتطيب لها نفس * وبعد فترة من الزمان أُعلن هذا المسكين بطرده من الخدمة الشريفة طرداً لأنه غير كفوءٍ للقيام بعظائم الأُمور حسب المقاصد السامية والرغبات العالية

وبعد ان سافر دولة الداماد أخذت المعية تشيع عنه وعن

نجليه ماشاءت وشاء الهوى والغرض ثم أرسلت خلفه رجلا أرمنياً اسمه زكى افندى [1] ليتجسس لها عن أعماله وأحواله فى أوروبا وزوّدته بالمال الكثير ليقوم بهذا العمل الشريف الخطير *وفى غضون ذلك ظهرت جريدة « جهينه » وأخذت

(١) لهذا الرجل نوادر غريبة تدل على ذكائه وتفننه في التجسس وابتزاز أموال البسطاء الذين يعلاون النفس ويتعلقون بحبال الشمس ويبنون آمالهم على الاوهام ويتمسكون بأضغاث الاحلام (وابن الثريا من يد المتناول) * فمن تلك النوادر انه أراد بعد سفر دولة الداماد من هذا القطر أن يلعب لعبةً سياسيةً يستفيد من ورائها تشبهاً بغيره من السياسين* فأبلغ أحد جواسيس المعية أخباراً كاذبةً وهول له في أمرها وأشار عليه بأن يقدمها الى محل « الايجاب » لاهميتها * وقبل أن يرفعها هذا الجاسوس أرسل هو الى الجناب العالي يقول « ان فلاناً سيبلغ سموكم كيت وكيت وكيت مما هو كذب في كذب ولا صحة له مطلقاً » * ولما توجه الجاسوس وقدم تلك الاخبار الملفقة ضحك سموه كثيراً وانشرح خاطره الشريف وأعجب بذكاء زكي افندي ودهائه وتفننه وبراعته واقتداره على الاعمال الخطيرة فأرسله الي أوروبا ليراقب حركات وسكنات دولة الداماد * لازالت مصرنا السعيدة مرتقية الى ذروة المجد والعلا بهمة سمو العباس الكريم ولا زال سموه منشرح الصدور ومسرور الخاطر على الدوام

تكشف الاسرار وتمزق الاستار وتدافع عن الداماد وتطعن على الحضرة السلطانيــة المعظمة من جهة وعلى المعية والعائلة الفخيمة الخــديوية من جهة أخرى طعناً فاحشا بأقلام عديدة شديدة * فقامت لها المعية وقصــدت ونسيت الداماد وتركت الاشــتغال بالاختلاقات الكاذبة والمفتريات الباطلة عنه وعن نجليــه ورأينــا جواسيسها وفى مقدمتهم ذلك البربري الذي أنعم بنفسه على نفسه برتبة الميرميران وقام يدعي بلا خجل ولا حياء بأنه هاشميّ ومن نسل العباس يجمعون فى شوارع العاصمة اعداد الجريدة من أيدي الباعة ويعطون لهم خمسة قروش عن كل نسخة

وقد استرضت المعية حضرة صاحب «جهينه» فصار يسبح بذكرها ويملأ أعمــدة جريدته بعبارات المديح والثناء عليها حتى انه نشر مقالتين احداهما فى صدر العدد ٢١ تحت عنوان «أين الثريّا من الثرى» والأخرى فى صــدر العدد ٢٢ تحت عنوان «حبّ الاتراك لعزيز مصر» حاول كاتبهما الذي يقال عنــه انه من رجال المعية ان يثبت «ان سمو الجناب العالي أفضل بكثير من جلالة سيده مولانا السلطان الاعظم حفظه الله

وان سموه لو كان مكان جلالته لأصبحت الأمة العثمانية من أعلا الأمم شأناً وأرفعها مكاناً وأبعدها صيتاً وأعلاها صوتاً ولكانت في دولةٍ ومنعةٍ وصولةٍ ترهب العالمين عزةً وبأساً وشدةً » الى غير ذلك من الاكاذيب والخرافات التي سنزيفها تزييفاً ونفندها تفنيداً بالأدلة القاطعة في خاتمة الكتاب ان شاء الله تعالى إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل ان الباطل كان زهوقاً

هذا وقد اندمج صاحب « جهينه » في سلك جواسيس المعية فاشغل البرق بتلغرافاته وعين له مايكفيه من المرتب في كل شهر كغيره من الجواسيس المختلفة أجناسهم وأشكالهم ولذلك ابطلت الجريدة وصارت في خبر كان * وسيأتي الكلام في غير هذا المكان على الوسائل التي اتخذتها المعية لاسترضاء صاحب جهينه وغير ذلك ليعلم الناس ان الانكليز المشهود لهم بالعقل والفضل والحكمة والعدل والسياسة والدهاء لم يدخلوا البلاد ولم يكن لهم الأمر والنهي فيها من شيءٍ قليل * وليعلم الذين كفروا بنعمة الاحتلال انه لولا هذا الاحتلال الذي أرسله الله الينا رحمةً منه وكرماً

فمحا الظلم محواً وقضى عليه قضاءً مبرماً لتمزقت الأعراض تمزيقاً وقُتلت النفوس قتلاً ونُهبت الأموال نهباً وسُلبت سلباً كما كان يفعل ذلك علناً في تلك الأيام الغابرة أيام الظلم والاستبداد لا رحمها الله ولا ردَّها الينا ثانياً

ولكي لا يظن القارئ أننا نبالغ في الكلام أو نختلق على الانام ننشر هنا صورة تلغراف أرسله صاحب جهينه الى حضرة عزتلو علي بك شاهين بسراي رأس التين العامرة بخصوص مسائل مهمة ...... يريد عرضها ويلتمس رفعها الى الاعتاب الخديوية طبعاً * وهذا نص التلغراف المذكور بالحرف الواحد

سعادة علي شاهين بك تشريفاتي خديوي برأس التين: خبر الاجبسيان غازيت (١) ومسئلة احمد جلال الدين ومسائل مهمة استخبرتها وأُريد أعرضها فأمروا لي بالحضور لأحضر واعلموا أن ليس معي أُجرة الوابور والرد بمنزلكم العامر . فرج

محمد فرج صاحب جريدة جهينة بمنزل المرحوم اسماعيل صبري باشا بباب البحر

« ١ » سنذكر في الفصل الآتي هذا الخبر المهم باللغة الانكليزية مع ترجمته نقلاً عن الجريدة المذكورة فنستلفت اليه الانظار

فأما تلك الوسائل التي أشرنا اليها فهي ان المعية لما ضاق صدرها مما كانت تنشره « جهينه » باقلام بعض الكتاب من المسائل التي كانت المعية تتألم منها ولا تريد نشرها حتى لا ينفضح أمرها وينكشف سترها فيسقط احترامها عند العقلاء والاذكياء * أوعزت الى الشيخ ابراهيم ادهم (١) أحد

---

(١) يظهر أن بعض زملاء هذا الرجل نظروا اليه بعين الحسد لتقدمه عليهم فسعوا فى اسقاطه والايقاع به وايصال الأذى اليه وايغار صدر المعية عليه فنجحوا حيث آل الامر الى ان حضرة على بك شاهين قطع مرتبه * فاخذ يرعد ويبرق ويتوعد ويهدد بتمزيق الاستار ونشر الاسرار ....* ومن ذلك رسالة تلغرافيـة أرسلها الى الجناب العالي بسراي القبة العامرة في أول رمضان سـنة ١٣١٩ (١٢ ديسمبر سنة ١٩٠١) * وسننشر في غير هذا المكان صورة هذا التلغراف بالحرف الواحد كما وصل الينا اثباتاً لقولنا واظهاراً لما للمعية فى هذه الايام من سامي المقام وجليل الاحـترام * ومما علمناه من بعض المقربين ان حضرة علي بك شاهين كان قد طلب من ابراهيم أدهم أن يسافر الى كورفو ليتجسس على حضرة فضيلة الاستاذ الكبير والعالم الخطير محمد افندى قدري العثماني الشـهير الذى سيأتى الكلام على ماحدث لفضيلته فى ديار الحرية من الأمور الغريبة فأبى * ومن الحوادث العظيمة التي تمثل لنا الفوضى في مصر ولا يحسن السكوت عليها بحال من الاحوال

جواسيسها بأن يفعل كل حيلة ليجعل صاحب « جهينه » يعدل عن خطته واعطته من المال مايستعين به على قضاء ما موريته السياسية العالية * فتوجه اليه وهو من أصدقائه وأخذ يهدده مرة وينصحه أخرى و « يغمزه » بالمال تارة ويسير معه طوراً حتى نفد المال بدون فائدة حيث كانت الجريدة مستمرة على خطتها * وقد عاد ابراهيم يطلب مبلغاً آخر من المبالغ الاحتياطية

حتى لا يتسع الخرق على الراقع ماوقع لابراهيم أدهم في مساء ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٠١ بين سور حديقة الازبكية والاوبرا الخديوية حيث تربص أحدهم له وهجم عليه أثناء مروره وضربه بعصى عدة ضربات حتى شجت رأسه * ويقال ان هذا الضارب الذى فر من وجه المضروب قبل ان يقبض عليه هو خادم لحضرة علي بك شاهين وأن حضرته هو الذى أوعز اليه بذلك ليجبر المضروب على الرجوع عن تجسسه عليه وعدم تقديم التقارير ضده الي الجناب العالي * ويقال ان المضروب رفع أمره الى رجال الحكومة وأن البحث جار للقبض على الضارب لينال جزاء ماجنته يداه * وقد ذكرت جريدة « التمدن » الشهيرة التى يحررها سعادة صديقنا الكاتب البليغ والسري الوجيه ابراهيم بك رمزي هذه الحادثة الشنيعة في العدد السابع منها الصادر بتاريخ ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٠١ تحت عنوان « الجاسوس وجاسوس الجاسوس » فراجعه لترى مافيه من اللكز والوخز والتهكم والتعيير

المخصصة لمشــترى الجرائد الطاعنة ومكافأة الجرائد المادحة وغير ذلك من المشروعات المهمة الخطيرة المتوقف عليها رفع كلمة الاسلام والمسلمين واخراج الانكايز من مصر* فرُفض طلبه لتهمة اتهمه بها جاسوس آخر كما علمنا وهي « انه اقتسم المبلغ مع صاحب الجريدة وترك الدار تنعي من بناها »

ولما انتقلت المعية الى الاسـكندرية وقرب ميعاد سفر الحضرة الفخيمة الخديوية الى «دار السعادة » دبرت المعية حيلة لتسفير فرج افندي الى الاسكندرية لترسله منها الي الآستانة تنكيلاً به وانتقاماً منه مع مَن ارسلتهم من الاحرار تحسيناً للعلائق السياسية بينها وبين المابين* وقد حضر حضرة علي بك شاهين الى مصر للاتفاق مع حضرة عثمان بك عبد الحميد على ما يجب اجراؤه فى ذلك ثم عاد الى الاسكندرية وقبل عودته تقابل مع فرج افندي ووعده بكل خير وسعادة * وبعد ان صُرف لفرج افندي اربعة جنيهات « نفقة سفر » سافر مُسرعاً * وبعد ان قام القطار به ارسـل ابراهيم ادهم الجاسوس المار ذكره رسالة برقية الى رأس التين بما شاع يومئذ فى مصر من « ان فرج أفندى توجه الى احدى الوكالات السياسية وعرفها انه

متوجه الى الاسكندرية بناءً على طلب المعية السنية » ثم طلب عدم القبض عليه حتى لا تقوم القيامة ويُنفخ فى الصور فتقوم الاموات من القبور * ولما علم بذلك أحد اصدقاء فرج افندى ظن ان في الأمر مكيدة ضد صديقه فاسرع خوفاً عليه بارسال تلغراف بامضاء « صادق » الى الحضرة الخديوية يدافع به عن صديقه ويطلب عدم ارساله الي مريوط .... التى يقال عنها انها أصبحت بمثابة منفى لمصر كما ان سبيريا منفى لروسيا وفزان لتركيا * وهذا نص التلغراف المذكور بالحرف الواحد كما اتصل بنا

« الى الاعتاب الخديوية

اعتبر عبدكم ابراهيم أدهم استدعاء حضرة الفاضل فرج أفندى السوداني يعود عليه بالضرر العظيم فبعث برسالة برقية يتهمه فيها بما هو برئ منه من قبيح الافعال والأمل ان لا يرسل فرج أفندي الى مريوط فان الوكالة الساهرة على مصالح السودانيين تسأل عنه بعد ثلاثة ايام والاخوان من الآن يفتشون » انتهى

ولم يصل فرج أفندى الى الاسكندرية حتى أُحسن ملقاه وأُكرم مثواه وعاد من حيث أتى سالماً غانماً ظافراً ضاحكاً حامداً شاكراً وسبحان مَن يحيي العظام وهي رميم * وبعد

بضعة أيام سافر حضرة عثمان بك عبد الحميد وتنفيذاً لما أُمر به استصحب معه فرج أفندى وهناك أُعطي للثاني مالاً وفيراً وعُين له مرتب شهري وأُدخل فى سلك الكرام الكاتبين وأُخذ منه تعهد بان يبطل الجريدة ولا يصدرها مطلقاً *ولولا ذلك التلغراف الذى ارسله « صادق » لكان اليوم صاحب جهينه من ضيوف المابين ورفيقاً أنيساً لأحمد افندى فؤاد صاحب « الصاعقه » وناشر قصيدة الهجو المشهورة الذى أُكل « طعم المعية ولم يفلت من صنارتها »

هذا وبعد ان برح دولة الداماد الجليل هذه البلاد وابطلت جهينه وارتاح الفؤاد سافر سمو الجناب العالي رب الحكمة والشهامة ومنبع الفضائل والكمالات في ٢ يوليو سنة ١٩٠١ قاصداً الآستانة لتبديل الهواء والراحة من عناء الاعمال من جهة * ولطلب الرضوان وتمريغ الجبين على تراب العتبة الحميدية العليا تمريغاً وتقبيل قوائم التخت السلطاني تقبيلاً من جهة أُخرى * وعند وصوله اليها فى اليوم السادس من الشهر المذكور قصد قصر يلديز العامر وقام بعظيم الخضوع والخشوع بما ذكرناه خير قيام ثم قدم الى اعتاب

سيده ومولاه السلطان ٥٠ الف جنيه كما جاء ذلك فى نشرة نشرت حينذاك فى مصر بامضاء « غيور على الوطن العزيز » وتحت عنوان « بشرى للمصريين »[1] وبعد ان كثر السؤال والجواب بين جلالة المتبوع الاعظم وسمو التابع المعظم لازالت عرى المودة والصداقة مرتبطة بينهما رغماً عن سعايات أُولى الدسائس والفتن بخصوص جمعية « شفق » وما حدث فى

---

(١) يقال ان المبلغ المذكور قدم بصفة اعانة لمشروع السكة الحديدية الحجازية وهو ما يشكر عليه سمو الجناب العالي كثيراً * أما النشرة المذكورة فهذه صورتها نقلا عن نسخة وردت الينا منها بطريق البريد « قضي الامر وزال الخلاف بين الخليفة الأعظم الغازى عبد الحميد الثانى وخادمه المخلص السامى المقام عباس حلمى الثانى * وقد قدم سموه لولي نعمته ومالك رقبته خمسين الف ليرة ودارت مخابرة الصلح بينهما في محجر قلازومين بقرب اورنا التى موقعها تجاه مدينة ازمير * وقد توسط واليها العظيم في هذا الامر الخطير اذعاناً للاوامر الصادرة اليه من جلالة الخليفة المعظم فدخل سموه الآستانة العلية أول أمس ومعه احد عشر من أعضاء تركيا الفتاه * وقد تشرف الجناب العالي بتمريغ جبينه على تراب الاعتاب الشاهانيـــة وقبل قوائم التخت الملوكانى * وليس للمصريين الا أن يفرحوا ويقبلوا على قراءة جرائد المابين * ونسأل الرحمن أن يطيل بقاء سيدنا حامي ذمار الدين أمير المؤمنين وخادمه المتفانى في العبودية عباس حلمى الثانى ماذرّ شارق ولمع بارق »

مصر من الامور السياسية المدهشة في مجلس كان فيه المرحوم خليل رفعت باشا الصدر الاعظم السابق جالسا على يمين الحضرة السلطانية المعظمة وسماحة المفضال السيد أبي الهدى أفندي الصيادي الشهير بعلمه وفضله وحسبه ونسبه على يسارها وعطوفة تحسين بك باشكاتب المابين الهمايوني بعيدا عنهما حيث كان يكتب كل مايقال في دفتر اعد لذلك كما وردت بذلك الاخبار الخصوصية من بعض المصادر العالية جداً في الآستانة الى عظيم في مصر له مكانة سامية وشهرة عالية في الشرق والغرب واطلعنا عليها * وبعد ان تعهد سمو الجناب العالي المعظم لجلالة مولاه وسيده وولي نعمته ومالك رقبته السلطان الاعظم بأن يكون نصيراً عظيما له في قطع دابر حزب تركيا الفتاة من مصر بما له من السلطان والنفوذ * بعد كل ذلك أُقيمت الولائم السلطانية الفاخرة اكراماً للحضرة الفخيمة الخديوية وطلب جلالة مولانا سلطان البرين وخاقان البحرين واعظم ساسة العالم من المرحوم خليل باشا رفعت الصدر الاعظم السابق ان يتخلّى عن مكانه في الوليمة للجناب العالي قائلاً له « تخلّ عن مكانك

لخديوى مصر (١) » *ومع هذا الاعزاز والاكرام وصدور الارادة السلطانية بالانعام بالنيشان المجيدى المرصع على صاحبتي الدولة والعصمة والدة الجناب العالي وحرمه المصون وبنياشين أُخرى

(١) توهم بعض الناس ان هذه العبارة الملوكية تفيد ان الجناب العالى مقدم على الصدر الاعظم * والصواب ان كلمة « عن مكانك » اثبات لان المكان مكان الصدر * وقصارى ماتفيده هذه العبارة السلطانية ان جلالة مولانا السلطان الاعظم اراد أن يكرم الصدر الاعظم الجناب الخديوى بتخليه عن مكانه له « تلطيفا » كما يفعل ذلك مع الضيوف عادة * ومع هذا كله قد استرضى مولانا السلطان بلطفه المشهور المرحوم الصدر الاعظم بعدئذ قائلا له مامعناه .

« ان عباس الثاني خديوى مصر هو حفيد أُولئك القاهرين الذين »
« لايخفى عليك مافعلوه لاغراضهم النفسانية مع أجدادى العظام من الاعمال »
« الشنيعة التي كانت سبب ضعف الدولة واضمحلالها وطمع الاجانب فينا »
« ولعلمى بكل هــذا وبما يرسل من الكتب المحرضة على الثورة »
« والاوراق المضرة التي تطبع في مصر الي بلاد جزيرة العرب وغيرها من »
« بلاد مملكتنا أردت أن أمنع ارسال ذلك الي تلك البلاد حقنا لدماء »
« الرعايا واستتبابا للامن العام وأحببت أن أجعل الخديوى في مصر عيني »
« التي بها أنظر ويدى التي بها أبطش فعاملته بهذه المعاملة وطلبت منك أن »
« تخلى له عن مكانك فى الوليمة وأحب أن لا تكون متكدراً من ذلك اهـ »

وقد انشرح صدر المرحوم الصدر الأعظم من هذا التعطف الجليل وقابله بمزيد الثناء وصالح الدعاء .

على رجال المعية السنية وغير ذلك فقد كان سمو الامير موضوع تجسس ومراقبة شديدة وكان الجواسيس ينقلون الي المابين أخبار كل من يزور المعية * ولما أحس سموه بذلك لم يطل الاقامة فى الآستانة بل سافر منها غير راض في يوم الاثنين ١٥ يوليو قاصداً ديفون على قطار اكسبريس الشرق* ولم يكد يخرج من الآستانة حتى أُلقي القبض على جماعة من الذين زاروه ومن جملتهم ضابطان برتبة ميرالاي * وقد أرسل المابين رجلين من اعاظم الآستانة في القطار الذى سافر فيه سموه منها وأمرهما بمراقبة كل حركاته وسكناته وابلاغه عنها* كذا قالت جريدة الطان الفرنساوية وغيرها من جرائد اوروبا الشهيرة ونقلته عنها جرائدنا العربية فى حينه * أما الرجلين المذكورين فقد أنبأتنا أخبار الآستانة الخصوصية بان أحدهما اسمه مصطفى بك والاخر اسمه توفيق بك

هذا ولما وصل الجناب العالي الي ديفون حدثته نفسه الشريفة بان يزور باريز فزارها واستصحب معه سعادة الكاتب البليغ ابراهيم بك المويلحي وكان قد طلبه من مصر * ولم يكن ذلك لاصلاح العلائق وازالة ما كان من الخلاف بين الدولة وفرنسا

بسبب مسألة الديون المعلومة كما قالت بعض الجرائد الغاشة لأن التداخل فى مثل هذه الشؤون يحتاج عادة الى داهية من دهاة السياسة وفحل من فحولها كالمغفور لهما عالي باشا وفؤاد باشا « مثلا » من الصدور العظام وامثالهما * بل كان لاصلاح العلائق وازالة ما حدث في مصر من الخلاف بينه وبين دولة الداماد الذى كان قد وصل اليه خطاب بامضاء « أحمد بك » يعتذر به كاتبه عما حصل ويطلب الصلح معه قائلا « نحن فعلنا معك فى مصر مافعلناه مما لا يليق بشرفك ومكارم أخلافك ان تقابلنا بمثله » * وقد توجه سعادة الشهم المفضال ابراهيم بك المويلحي لمقابلة صاحبي الدولة نجلي الداماد فرفضا مقابلته كما رفضا مقابلة زكي أفندي الارمني (١) وعلي بك شاهين قبله وطرداهما طرداً شنيعاً * وهؤلاء الثلاثة كانوا قدقصدوا ساحتهما لطلب الصفح والعفو * ولا ندري باي وجه طُلب ذلك من تلك الساحة العظيمة بعد ماحدث لهما ولدولة والدهما المعظم فى مصر من العجائب والغرائب

وعند ما رأى ذلك سمو الجناب العالي غادر باريز الى

«١» راجع قصة هذا الرجل في صحيفة ٣١ من هذا الكتاب

الآستانة تتبعه السلامة ولما وصلها استأنف تمريغ الجبين على تراب العتبة العليا تمريغاً والتمس من مراحم أعتاب جلالة ولي نعمته ومالك رقبته صدور العفو الكريم عن أحمد أفندي العريس[1] الممثل العظيم وصاحب الصوت الرخيم فى رواية ليون فهي والتمس أيضا الانعام على بعض كبار رجال الحكومة بأوسمة عالية مكافأة لهم على حسن قيامهم بتمثيل أدوارهم فى تلك الرواية كما يقال * فأجيب طلبه بكامل « المحظوظية » وكان ما كان مما لست اذكره من تبادل عبارات الحب الخالص لوجه الله الكريم بين جلالة المتبوع الاعظم وسمو التابع المعظم الذى أُنعم عليه من فيض تلك المراحم السنية بقصر «شبوقلي» الفخيم * ولا حاجة بنا الى ذكر ما اقامه نفر من اخواننا « الوطنيين » العقلاء النبهاء فى يوم احتلت فيه فرنسا جزيرة مدله «متلين» من الزينات الباهرة احتفالا باستقبال سمو العزيز حفظه الله تعالى للامة والدولة والوطن والدين بسبب تشريفه من الآستانة

«١» مادام جلالة السلطان قد عفا عن احمد افندى العريس بناءً على طلب الجناب العالي فلا يبعد ان ينعم عليه بناءً على طلب سموه أيضاً برتبة أو نيشان ومن يعش يره

حيث قد نشرت ذلك الجرائد فى حينه وعلمه الجمهور * فاما ذلك التلغراف الذي أرسله ابراهيم أدهم الى سمو مولانا الجناب العالي قرة عيوننا وبهجة نفوسنا بسراي القبة العامرة وسبقت الاشارة اليه في صحيفة ٣٥ من هذا الكتاب فهذه صورته بالحرف الواحد

« القبه — الاعتاب الخديوية

ظن علي بك انني متفق مع مصطفى الدمياطي [1] ضده

« ١ » حضرة الفاضل مصطفى افندى الدمياطى هو من المحامين امام المحاكم الشرعية ومن أفاضل الكتاب الذين تفتخر بهم البلاد * وهو شقيق طاهر افندى الدمياطى وصاحب تلك المقالة « البليغة » التي نشرت بامضاء م • د فى العدد ٧١٨٣ من جريدة الاهرام الغراء الصادر بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٩٠١ تحت عنوان « المطبوعات » * فاما المقالة المذكورة فقد تضمنت الدفاع عن المعية السنية من وراء حجاب مستور بمناسبة قيام بعض الجرائد ضدها * ومع بلاغتها وتميق الفاظها فقد فندتها الاهرام تفنيداً بما علقته عليها لمحافظتها على حرية المطبوعات مادام القانون كافلا بان يوقفها عند حدها * ويحكي ان حضرته قدنال « المحظوظية » وأدخل بسبب ذلك في سلك العبيد المقربين * وأما شقيقه طاهر افندى فهو ذلك الشاب الذى اغروه جماعة « فى شهر أكتوبر سنة ١٩٠١ » من المقربين الذين يظهرون الاخلاص والولاء في الظاهر ويشعلون نار الفتن والقلاقل لأغراضهم الشخصية ومطامعهم الاشعبية فى الباطن بان يطبع تلك

واكتب بسموكم باحواله فاختلق عليّ ليسقطني عندكم وحجز ماهيتي وهددني فى بيته مع العريس فالتمس صرف ماهيتى واجراء التحقيق وعسى ان لا يضطرني الامر الى الكلام علنا » اه

هذا ماوقفنا عليه من التلغرافات والله أعلم بما خفي منها

القصيدة التي مطلعها

أين القصاص وأين العدل في الناس * هذا دمي في يمين الظالم القاسى

ويدعي أن سماحة العالم الجليل السيد توفيق البكرى نظمها وأعطاه اياها ليطبعها ووعدوه انه اذا فعل ذلك وكتب لهم صكا يقول فيه ذلك نقدوه مالا ووجدت له المعيه السنية خدمة باربعة جنيهات كما أغروا أحمد افندي فؤاد فى سنة ١٨٩٧ بان يطبع تلك القصيدة التى مطلعها

قدوم ولكن لاأقول سعيد * وملك وان طال المدى سيبيد

ويدعي أن سماحته نظمها وأعطاها اليه أيضاً ليطبعها * ولايدرى الجمهور ماذا تريد المعية من سماحة هذا السيد المفضال الذى يجب احترامه لما له من عظيم الفضل وسمو المكانة ولماذا تضطهده بمثل هذه الاعمال وتسعى في الايقاع به وايصال الاذى اليه * ولما دخلت المسئلة فى دور عظيم وتطاير شرر لهيبها وكثر التحدث بها واشرأبت الاعناق الى تلك القصيدة الجديدة المستخرجة من معمل المعية وأخذ طاهر افندى يشنع فى كل مكان بكل لسان على الذين استكتبوه ذلك الصك في منزلهم ولم ينقدوه المال استرضته المعية وجعلته من كرام الكاتبين منعا للقيل والقال * وبذلك تم هذا الفصل المضحك وانتهت هذه المناورة الحربية

وكلها تدل بلاشك ولا ريب دلالة صريحة على فساد الاخلاق وسوء الطباع ووجوب تعيين مستشار انكليزي ممن تحلوا بالفضائل والكمالات واشتهروا بشرف النفس وعلو الهمة وسمو الافكار وحرية الضمير فى المعية ليطهرها من هذه الميكروبات التي فتكت بالعقول والاجسام تطهيراً وليصلحها اصلاحاً ويقوم مابها من الاعوجاج تقويماً فيرتاح سمو الأمير وتبطل الجاسوسية ولا يجسر أحد من الناس بعد ذلك أن يهدد سموه جهراً أو سراً بمثل هذ التهديد الشديد مهما كانت الاسرار عظيمة .....

هذا ويلوح لنا ان زاوية الخلف كانت قد انفرجت بين المعية وصاحب جهينه فهددها بقطع العلائق السياسية بينه وبينها ثم أعطى لنفسه « ورقة الجواز » وبعث اليها باعلان الحرب فطلبت عقد الصلح وزال الخلاف ولله الحمد على أحسن مايرام بدون سفك دماءٍ ولا اطلاق قنابل . أما اعلان الحرب المذكور الذي قامت له المعية وقعدت وحسبت له الف حساب فهو اعلان نشره في العدد ٦ من جريدة «التمدن» البهية الصادر بتاريخ ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠١ يقول فيه مايأتى بالحرف الواحد

« عزمت على اصدار جريدتي في أوائل السنة الجديدة الافرنجية وعزمت ان أتوخى فيما أنشره فيها خدمة الوطن والأمير بالصدق والاخلاص ان شاء الله تعالى » اه

ويجدر بنا هنا ان نختم المقال بالتضرع الى الله تعالى بأن يجعل الأمة المصرية في راحة وسعادة وتقدم وهناءٍ تحت ظل مولانا العباس الكريم حرسه الله بعينه التي لا تنام آمين

الفصل الثاني

في الكلام على جمعية شقو وكيفية تأسيسها والغرض منها وعلى ايواء الاحرار وذكر المطالب السنية وغير ذلك

لسمو خديوينا العباس النشيط قرة العيون وبهجة النفوس ومحط رحال الآمال من الفضائل والكمالات والشهامة والمروءة والغيرة على الأمة والدولة وحب الخير للاسلام والمسلمين واصلاح ذات البين بينهم والسعي وراء مايعلي شأنهم ويرفع مكانتهم ويجمع كلمتهم تحت رايةٍ وخلافةٍ

ودولةٍ واحدةٍ ومساعدة الفقراء والضعفاء مايعجز القلم عن وصفه واللسان عن ذكره ويجب أن يكون قدوةً حسنةً يقتدي بها الصغير والكبير والأمير والحقير * يدلك على ذلك كله ماهو معلوم ومشهور من معاكسته الانكليز عند توليته حفظه الله مركز الخديوية الجليل بطريق الإرث عن آبائه وأجداده الذين سبق ذكر أعمالهم ومقاصدهم * ويدلك عليه أيضاً ما كان من اهتمام سموه في اصلاح ذات البين بين سماحة السيد المفضال وخادمه شكيب * وسعيه الحسن في اخراج الانكليز من مصر بخيلهم ورجلهم وأسلحتهم ومدافعهم مستعيناً على ذلك كله كما يعلم الخاص والعام بتلك الخطب والمقالات التي كان يخطبها وينشرها في أوروبا ذلك الكاتب الفاضل والخطيب الشهير والسياسي الخطير والوطني الكبير الذي لولاه لضاعت بلاد الاسلام والمسلمين وفقدت الدولة العلية استقلالها واتفقت اوروبا على تقسيمها ولما توطدت دعائم الخديوية الجليلة كما يقول ذلك بلسانه * ألا وهو سعادتلو افندم الحسيب النسيب سليل المجد والشرف السيد مصطفى بك كامل الافخم صاحب امتياز «آيات الوطنية» و «الوطنية

الحقة » والصديق الوحيد في العالم الاسلامي لجلالة مولانا السلطان ومحرر مصر نمرة ٢ * وإيواءسموه جماعةمن الاتراك فروا من بلادهم لأسباب اقتضت ذلك والتصقوا بحزب تركيا الفتاة وسموا أنفسهم أحراراً ومساعدته لهم بالهيل والهيلمان شفقةً منه عليهم ورحمةً بهم وشداً لأزرهم وحباً في نجاح أعمالهم * ويقال ان مقدار ماصرفه الجناب العالي أعزه الله على الاحرار من عهد مراد بك الداغستاني لمطالبة جلالة مولانا السلطان الاعظم بالاصلاح يتجاوز ثلاثين الف جنيه * فبارك الله في هذه الهمم العالية والعواطف الشريفة والاحساسات الطاهرة وهكذا هكذا يكون السعي في مايعود على الاسلام بالخير العام

فأما جمعية « شفق » أو « جمعية الدم » فهي كانت جمعية تركية مختلة الأساس والنظام قليلة الاعضاء رذيلة الأفراد * وسبب تسميتها بهذا الاسم ايهام جلالة مولانا السلطان الاعظم انها تريد اغتيال حياته العزيزة وسفك دمه الشريف * والشفق اللون الأحمر * والأحمر اشارةٌ الي الدم * والدم اشارةٌ الي القتل والعياذ بالله تعالى من هذا الجرم الفظيع والعمل الشنيع

تأسست هـذه الجمعية الوهمية في عاصمة الديار المصرية

في شهر رمضان سنة ١٣١٨ وتألفت من الأشخاص الآتي ذكرهم وهم : رضا افندي التركي (١) صاحب جريدة « حق » التركية بصفة رئيس (صوريّ) وهو من مطرودي البحرية العثمانية وقد تعرف به الجناب العالي بعد فراره من تركيا بشهرين : ورضا افندى الطوبجي من الفارين من تركيا الى مصر : ووجداني افندي الالباني من مطرودي المدرسة الحربية الشاهانية : وحلمي افندي من عمال البوستة العثمانية الهارب من بيروت الى مصر اثر اتهامه باختلاس ٤٠٠ جنيه عثماني : وعبد الله عطا افندي من مطرودي الازهر الشريف وهو التركي بائع الفطير : وصالح بك بدرخان بصفة أعضاء . . .

(١) ذكر مكاتب المؤيد الاسلامبولي فى رسالته المنشورة في العدد ٣٤٠٦ من المؤيد ما يأتي بالحرف الواحد « اتهمت محكمة الجناية الشخص المدعو رضا من ضباط البحرية سابقاً بالجناية وفقا للمادة ٦٦ من قانون العقوبات لفراره الي مصر واشتغاله فيها بنشر الاوراق المضرة بحق الدولة » * وجاء في محليات العدد ٧٠٩٨ من جريدة الاهرام ما يأتي « فر أحد رجال البحرية العثمانية واسمه رضا افندى الى هذا القطر فصدر أمر من المحكمة باعطائه مهلة ١٠ أيام ليعود والا يحاكم وتنزع منه الحقوق المدنية » اهـ

ونظراً لما جُبل عليه الجناب العالي من الشفقة والرأفة واشتهر به من الشهامة العربية ومكارم الاخلاق وحب الخير للعموم كما ذكرنا والميل الشريف الي مساعدة الجمعيات على اختلاف أجناسها وأشكالها وتنوع مذاهبها ومشاربها فقد شمل سموه أدامه الله للاسلام والمسلمين رجال الجمعية المذكورة بنظره العالي وأدخلهم تحت لواء نعمته ومدّ اليهم أيدى المساعدة من كل وجهٍ حتى انه استأجر لهم منزلاً في جزيرة بدران بقصورة الشوام وكان يدفع أُجرة المنزل لهم شهرياً ثلاث ليرات عدا مايحتاجون اليه من النفقات والملابس * ومن كثرة نعمه عليهم وإحسانه اليهم صاروا لا يعرفون هماً ولا يحسبون حساباً للغد ولا عجب فساحة سمو الأمير واسعة وفضائله جمة ومزاياه عديدة لاتعد ولا تحصى * كذا آل الامر ووصل الحال بهم كما قال أحدهم صالح بك بدرخان في مقالته التي سننشرها في هذا الفصل بالحرف الواحد[1] نقلا عن العدد ١٥ من جريدة

«١» هذا الرجل بعد ان كتب مقالته هذه التي لايتكن للمعية السنية ان تكذب كلمة واحدة مما جاء فيها من الحقائق الثابتة لم يظهر له أثر في عالم الوجود المصري * وقد كثرت الاقاويل بشأنه واختلفت

« جهينه » الصادر بتاريخ ١١ محرم سنة ١٣١٨ اثباتاً لما ذكرناه وما سنذكره من الحقائق المدهشة التي تبيضُّ منها وجوهُ

الروايات عنه * فبعضهم يقول انه قضى نحبه واتى ربه وان سوس قبره قد نخر عظمه ودوده قد أكل لحمه وان له قريباً سيحضر قريباً للبحث عنه * وبعضهم يقول انه حمل الى الاستانة حملاً على الباخرة «المحروسة» مع بعض رفاقه وكان سفره بعد ان حُجز في قصر المنتزه العامر مدة شهرين طالت لحيته وساءت حاله في اثنائها حتى أصبح يحسد انسان الغابة على حاله * وبعضهم يقول غير ذلك مما يمثل لنا ذلك الاستبداد القديم ويلقي الرعب في القلوب * ومهما يكن من الامر فالذي يجب على المعية ان تفعله حفظاً لكرامتها وتطهيراً لسمعتها وتبرءة لنفسها مما يتهمها به الناس ويقولونه عنها في المجالس الخصوصية والعمومية هو ان تعلن في جريدة المؤيد التي هي لسان حالها كما يقال او في جريدة «الوقائع المصرية» الرسمية ما تعلمه عن صالح بك بدرخان وان تبين للناس اين هو الآن لأن الناس جميعهم يعلمون ما كان بينه وبينها من العلائق وتلك مقالته تشهد بذلك * وبهذا تطمئن القلوب وتقطع جهيزة قول كل خطيب في المسألة البدرخانيــة التي كثر فيها اللغط والكلام كما كثر في المسألة الشرقيــة الكبرى وهي مسألة ليون فهمي الارمني المفقود التي سيأتي الكلام عليها * هذا ما نقوله حفظاً لمقام المعية السنية وغيرة عليها ولها الرأي الاسمى والفكر الاعلى * واما ما نشره المقطم في العدد ٣٨٨٦ الصادر بتاريخ ٦ يناير سنة ١٩٠٢ من ان صالح بك بدرخان كتب خطاباً الى

وتسود وجوهٌ والعياذ بالله تعالى من سوء السيرة والسريرة *

صديق له هنا فى ١٣ و٢٦ ديسمبر الماضي من جزيرة رودس يقول « أشكر الله اني وصلت الى جزيرة رودس بناءً على الارادة السلطانية بتعييني بمأمورية براتب قدره ألف وخمس مئة غرش وذلك بهمة وعناية ولي نعمتي الباشا (بدخان) وسماحة الشيخ ابو الهدى » ثم يطلب من صديقه ارسال كتبه وامتعته اليه ويسأل عن اصدقائه ومعارفه في هذه المدينة فكله تمويه في تمويه وتضليل في تضليل * لأن صالح بك بدرخان كان يطعن في مصر على سماحة السيد المشار اليه طعناً فاحشاً وكان كما يعلم معارفه لا يمتلك ادنى شيء حتى يكلف ذلك الصديق ••• بان يرسله اليه * ولو فرضنا ان سماحة السيد عفا عنه وسعى له هذا السعي الخيري فليس من المعقول مطلقاً أن صالح بك يقول ذلك ويكتبه بنفسه لأنه سر من الاسرار التي يجب كتمانها بالطبع * ومَن هو ذلك الصديق.... الذي ورد اليه الجواب المذكور ••• وما اسمه يا ترى ؟* وما هي تلك « المأمورية ...» التي عين فيها صالح بك حتى نخابره ويأتينا منه الجواب لنعتقد بصحة الرواية ؟* ولماذا لا نقول إن هذا الجواب المنسوب اليه « اذا كان هناك جواب» كتب باسمه وأُمضي بامضائه للتمويه والتضليل على عقول البسطاء وهذا من أبسط الأمور التي يمكن لكل انسان أن يفعلها فكيف برجالنا العظماء الذين اشتهروا في الايام الاخيرة بالدهاء السياسي والاقتدار الغريب الذي أدهش العقول وحير الالباب ؟ * ولا يظن عاقل اني أتهم حضرات الافاضل أصحاب المقطم الاغر بهذا التمويه والتضليل فاني أعتقد فيهم سلامة القلب وطهارة الضمير ولكنني أقول انهم خُدعوا فكتبوا ما كتبوه وقد يخدع الكريم

ولكن ياسبحان الله فقد تبدل الحال وساء مصير أولئك الرجال بل الاطفال فبعد ان كانوا في الأمس بفضل المعية وتحت ظل الجناب العالي المعظم في هناءٍ وصفاءٍ أصبحوا اليوم بفضلها أيضاً وبحسن تدبيرها في شقاءٍ وعناءٍ * ولا غرو فالدهر يومان يومٌ لك ويومٌ عليك ومَن لم ينظر الي العواقب فليس الدهر له بصاحب

وبيان ذلك ان المعية السنية قد استعملت لأسبابٍ سيأتي الكلام عليها كل حيلةووسيلةحتى خدعت بواسطة جواسيسها مَن أمكنها ان تخدعه من هؤلاء الناس وغيرهم ممن التصقوا بحزب تركيا الفتاة وزينت لهم التوجه الى المنتزه لينالوا من التعطفات الجليلةالخديويةوالاحسانات العميمةالعباسية مايجعلهم من السعداء والأغنياء مدى الأزمان ويطلق ألسنتهم بالثناء والدعاء ماتوالى الجديدان * فتوجهوا لبساطتهم وسخافةعقولهم فرحين مسرورين وهم لا يعلمون مادبره لهم القضاء ومانُصب لهم من الشراك ولا الي أي طريق هم مسوقون* توجهوا وهم يحدثون أنفسهم بكل خيرٍ وبالنعيم والسعادة الأبدية وهنالك حجز عليهم ولا نقول أكثر من ذلك وكل لبيب بالاشارة

يفهم * فعندئذٍ تحقق لديهم ان الايام قد خانتهم وظهر لهم سوء نية القوم وفساد طويتهم وقساوة قلوبهم وغلظ اكبادهم فعضوا بنان الأسفِ والأسفُ على مافات باطلٌ وتأكد لهم سوء المصير * فخوقلوا وحسبلوا وصرخوا وبكوا واستغاثوا والتمسوا اطلاق سبيلهم رحمةً بهم ولا مغيث يغيثهم أو راحم يرحمهم كأن قلوب القوم قد قُدَّت من حجر فيالله * وقد استمر حال أُولئك التعساء على هذا المنوال مدة من الزمان حتى اقلعت بهم الباخرة وما القت مرساها على شاطيء تلك الدار الكائنة بين البحرين حتى استلمهم أولياء الأمر ونفوهم كما حدثتنا بذلك الجرائد الحرة في حينه الي أقصى المعمورة حيث يلاقون العذاب الأليم في فزان وغيرها من البلدان * وكنت أود أن أن أذكر هنا أسماء أُولئك الضحايا واشرح تلك الحيل والوسائل « الشريفة » اظهاراً لفضائل المعية السنية الجليلة وشهامتها وعلو همتها وكرم أخلاقها وحسن سياستها وعظيم اخلاصها وشديد محبتها للمابين الذي لا يخفى عليه خائنة الأعين وما تخفى الصدور * ولكنني ضربت الآن عن ذلك صفحاً حتى لا تنزعج الافئدة وتنقبض النفوس

ولنعد الآن الى ذكر « شفق » العذراء التي كَلِفَ بها وهام بحسنها .... عميد ابطال السياسة فصرف عليها الاموال الطائلة ظناً منه وبعض الظن إثمٌ انها تنيله مآربه ومطامعه الاشعبية وتبلغه السعادة في الدنيا والآخرة ولله في خلقه شؤونٌ وأي شؤون وهو حسبنا ونعم الوكيل

ويجدر بنا ان نذكر هنا قبل ذلك والشيء بالشيء يذكر ما كتبته جريدة « الاجبسيان غازيت » الانكليزية بقلم جناب الفاضل المستر ستانج مديرها المشهور بالهمة العالية وشرف النفس عن هذه الجمعية تحت عنوان « تركيا الفتاة بمصر » في عددها الصادر بتاريخ ١٨ يونيو سنة ١٩٠١ وهو بنصه باللغة الانكليزية

YOUNG TURKISH PARTY IN EGYPT

Our Cairo Correspondent writes that a secret society has been started in Cairo under the name of «Chafak» (Anglicé, Aurora Borealis).

It is composed of the leading spirits of the Young Turkish Party in Egypt, who have allied themselves to a number of native gentlemen, under the presidency of a well known and influential high Government official. Several committee meetings have been held, when subjects of gravity were discussed, and we hope shortly to make public the real object of the society's constitution, and the projects they hope to bring to fruit.

﴿ واليك ترجمة ذلك ﴾

« كتب الينا مكاتبنا في القاهرة انه تألفت جمعية سرية باسم «شفق» وهي مؤلفة من زعماءِ حزب تركيا الفتاة الذين جمعوا أنفسهم باتحادهم مع بعض الوطنيين تحت رئاسة مقام سامٍ ذي نفوذٍ عظيمٍ في الحكومة المصرية * وقد عقدت عدة اجتماعات وتباحثت في مواضيع كبيرة الاهمية * ونأمل قريباً أن ننشر للقراءِ الغرض الحقيقي من هذه الجمعية والآمال التي ترمي اليها » انتهى

هذا ما كتبته جريدة «الاجبسيان غازيت» الانكليزية الشهيرة بتحري الاخبار الصحيحة وعلى القاريءِ اللبيب أن يفهم ويعلم من خلال السطور من هو ذلك الرئيس الذي أشارت اليه وقالت عنه انه صاحب مقامٍ سامٍ ونفوذٍ عظيمٍ في الحكومة المصرية

فاما « شفق » التي كثر تحدث الناس بأن لحضرة عزت بك رئيس قلم تركي المعية السنية (أحد أولئك الوطنيين طبعاً) الكعب العالية في أعمالها المنكرة * فبعد ان تألفت من أولئك الاشخاص بالصفة وللغرض المتقدم ذكرها وعقدت عدة اجتماعات وتباحثت في مسائل كبيرة الأهمية ...... كما تقول الغازيت ويحب عميد ابطال السياسة * أرسل سعادة

الكاتب البليغ الجليل ابراهيم بك المويلحي صاحب «ماهنالك» ومحرر جريدة « مصباح الشرق » تقريراً طويلاً عريضاً الى « دار السعادة » يهول في شأنها ويخوف جلالة السلطان من أمرها * وكان سعادته قد أرسل قبل ذلك الى بعض أعوانه في تلك الدار أوراقاً ثوروية طبعتها تلك الجمعية بارشاده وارشاد عزت بك المار ذكره كما شاع ذلك فيلقيها الأعوان في الطرق ويلصقونها على الجدران فينزعج جلالة السلطان * ولم يصل التقرير المذكور الى المابين حتى قام رجاله وقعدوا وهاجوا وماجوا وأرسل جلالة السلطان مندوباً من قِبَله لتفريق شملها واسترضاء أعضائها * وقبل أن تطأ قدم هذا المندوب واسمه محب بك أرض مصر بلادالطيش والوهم والتجسس والتلصص والطمع والشره والغش والتدليس والمكر والخداع دبّت عقارب الفشل بين أعضاء « شفق » وبين رئيسهم رضا افندي لطمعه في حقوقهم وسلبه ما كان ينعم به الجناب العالي عليهم * ولما حمى وطيس الجدال وكثر القيل والقال واشتد الخلاف بينه وبينهم رفع الأعضاء شكواهم الى الجناب العالي وطلبوا عزل رئيسهم (الصوري) وطرده من جمعيتهم فرُفض طلبهم

وتُرِكَ فى زوايا الاهمال والنسيان * ولما رأوا ذلك أصدروا عدداً من جريدة طبعوها باسم (شفق) محتوياً على مقالات شديدة طعناً بالمعية ومن سوء أدبهم هددوا الحضرة الفخيمة الخديوية بكشف الستار وتمزيق الاسرار كما يفعل الجواسيس اليوم مع سموه ولكنهم لم يوزعوه لممانعة حضرات ابراهيم بك المويلحي وعلي بك شاهين وعزت بك الذين وعدوهم باجابة طلبهم وبذلك رفعت المعية الراية البيضاء وعزل الرئيس وأُحيل على المعاش * وقبل تعيين خلفه (شرّف) المندوب السلطاني المشار اليه وتمكن بدهائه وبواسطة ما أنفقه من مال (الخزينة الخاصة) العامرة من استرضاء ثلاثة أعضاءٍ وهم وجداني افندي وحلمي افندي وصالح بك بدرخان وسافروا معه الى الاسكندرية ليبحروا منها الى الآستانة

ولما علم بذلك سمو مولانا وولي نعمتنا ومالك قلوبنا ورقابنا بعدلهِ وفضلهِ وحكمتهِ وذكائهِ ونباهتهِ وشفقتهِ ومراحمهِ وعزمهِ وحزمهِ ووطنيتهِ تأفف وتضجر وأرسل خلفهم في الحال احد الجواسيس ليسترضيهم بالمال ويرجعهم بالملاطفة حتى لا ينكشف السر فكان ذلك وعادوا قافلين بالغنيمتين *

وكان قد أرسل الى صالح بك بدرخان فى يوم سفره مع رفاقه تلغراف من القبة لاسترجاعه من طنطا وقد استلمه من ناظر محطتها لكنه لم يعد[1] *وقبل عودتهم ضربوا المندوب ضرباً مبرحاً واشتغلت الاسلاك البرقية بين الاسكندرية وكوبري الليمون بشروط الصلح كما يحصل عادة ما بين الدول المتخاصمة * وقد رأى الناس بعد ذلك وجداني المذكور مستخدماً بالتشريفات الخديوية ورفيقيه الآخرين فى عيشة راضية مرضية يجوبان الشوارع بالعربات ويشربان مالذ لهما وطاب من المشروبات* فهكذا هكذا تكون أعمال أبطال السياسة !!! وهكذا هكذا يكون السعي فى تنوير عقول المسلمين!!!

هذا ومما وقع قبل حصول الخلاف المذكور وتحدثت به الألسنة كثيراً ويجب ذكره هنا لما فيه من العظة والاعتبار ان ذلك الرئيس الصوري كان قد أفهم عميد ابطال السياسة وهو ذلك الرئيس العظيم الذي أشارت اليه جريدة الاجبسيان غازيت الانكليزية الشهيرة بلزوم ارسال رضا افندي الطوبجي احد الاعضاء الى الآستانة متخفياً لتهييج الخواطر وتحريك السواكن على جلالة

[١] بعد ان عاد صالح بك الى مصر رأى بعضهم هذا التلغراف معه

السلطان ولنسف قصر يلديز العامر بالديناميت نسفاً وطلب منه مائة ليرة لتسفيره ومشترى ما يلزم من الديناميت . . . . فاعطاه اياه بكرمٍ وسخاءٍ * ولما أخذ الرئيس هذا المبلغ توجه الى رفيقه وقصّ عليه القصة واقتسمه معه وأشار عليه بأن يتوجه الى أثينا بصفة كونه متوجهاً الى الآستانة ثم يعود بعد مدة * فقام الطوبجي بما أشار به عليه رفيقه البحري خير قيام ولما عاد الى مصر اعتنق الديانة المسيحية ثم ارتد ثانياً الى الاسلام * وبعد مدة طويلة علم العميد بوجوده فاستحضر اليه الرئيس وسأله قائلا « اني علمت ان رضا في مصر فتى ولماذا جاء من الآستانة وأي شيء فعله فيها » ؟ * فأجابه مسرعاً بقوله « انه لما توجه الى الآستانة ومعه كمية من الديناميت واستأجر محلا في « بيك أوغلي » يدبر تدابير كما أُمر خرج ذات يوم الى قهوة قريبة من محله ليستريح من الأتعاب الكثيرة واذ بجواسيس المابين وعمال باب الضبطية هجموا على بيته للتفتيش والتنقيب فهرب صاحبنا فى الحال الى رصيف غلطه حيث ركب باخرة أجنبية وجاء عليها الى مصر سالماً » * فانطلت هذه الحيلة على العميد العاقل الرشيد مع علم جميع العقلاء ان كل من يتوجه الى « دار

السعادة » من حزب تركيا الفتاة لا يمكنه أن يدخلها في غسق الليل بدون علم الحكومة ولو كان يدبُّ دبيب النمل ولا يمكنه أيضاً ان يخرج منها مطلقاً ولو طار في الهواء * فهكذا هكذا تساس البلاد وترعى الأمم ويكون الاخلاص لجلالة السلطان والسعي الشريف لنيل الاستقلال .... ورفع شأن الوطن ... وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

وبعد ان تشتت شمل « شفق » أخذ كلٌّ من أعضائها يهدد ويتوعد وأرسل رئيسها المعزول خطاباً الى العميد يقول فيه ما معناه « هل تظن اني أخاف بأسك : وهل تنسى انك استفدت كثيراً من نصائحي لك ومشوراتي التي كنت أُشير بها عليك ؟ * لماذا قطعت مرتباتنا مع انك منعتنا عن الرجوع الى حظيرة المابين مع محب بك حيث ننال العفو السلطاني ونكون في عيش رغيد وعاهدتنا على أن تقوم لنا بكل احتياجاتنا وتجعلنا من أغنى الاغنياء وأسعد السعداء ؟ * ان كنت نسيت كل ذلك وما خدمناك به من الخدمات الجليلة أو تناسيته فانا أُذكرك به وبغيره وعسى ان تنفعك الذكرى وتتفكر قليلا * وليكن في علمك انك بتركك ايانا وعدم التفاتك

الينا وقيامك بما وعدتنا به وعاهدتنا عليه تسيُ الى نفسك كثيراً حيث تضطرنا الى تمزيق الأستار واظهار ما في صدورنا من الاسرار والمضطر يركب الصعب من الأُمور ولا لوم بعد بيان وهذا نذير من النذر الاولى !! » * وعند ما تصفح العميد هذا الخطاب انحلت مفاصله واصطكت أسنانه وصار في قلق وأرق ولم يدر ماذا يفعل * فأنعم عليه وجعل له مرتباً شهريا وهو الآن يتنعم بالخيرات العظيمة مع عشيقته «كابري» ولا عجب فعلى قدر أهل العزم تأْتي العزائم

ولما رأت المعية السنية ان أُولئك الناس يتوعدون ويهددون ويذيعون الاسرار وينشرونها على صفحات الجرائد ويضحكون الناس عليها بما يقولونه عنها في المجالس الخصوصية والعمومية وان المابين قد وقف على تلك الاسرار وعلمها علم اليقين * تحقق لها انه لاخير فيهم وأرادت أن تبرئَ نفسها مما وصمت به من العار وأن تذر الرماد في عيون المابين وتوهمه بانها مخلصة له في السراء والضراء وقائمة بخدمته بما استطاعت اليه سبيلا* فأهدته هدية نفيسة بعثت اليه بها صحبة دولة الوالدة المصونة الجليلة أعزها الله تحسيناً للعلائق السياسية

بين يلديز وعابدين من جهةٍ وحباً في الحصول على أغراضها السامية التي دون الوصول اليها خرط القتاد من جهة أُخرى * أما تلك الهدية فهي عشرة أنفار من الأتراك الفارين منهم وجداني أفندي وغيره من أعضاء « شفق » الذين كانوا كما يعلم كل الناس من قاصٍ ودانٍ آلة صماء في أيدي الهمية السنية تحركهم متى أرادت وكيف شاءت وشاء الهوى * وهؤلاء غير من أخذهم معه سموّ الجناب العالي الذي تحدثت بفضائله الركبان في كل مكان وزمان عند سفرته الأخيرة السعيدة التي احكمت عُرى المودة بين مصر والآستانة وقضت على سعايات أُولي الدسائس والفتن بين هنا وهناك قضاءً مبرماً كما تقول بعض الصحف المصرية العربية والتي ستخرج الانكليز من مصر قهراً عنهم في شهر اكتوبر الآتي * وغير راسخ بك ورضا الطوبجي السابق ذكره وشكري أفندي التلميذ الحربي والضابط وغيرهم الذين صار ردهم الى حظيرة المابين بل الى السجون المظلمة مع عثمان بك عبد الحميد العبادي في شهر نوفمبر سنة ١٩٠١ (١)

(١) عاد حضرة البك من الاستانة في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٠١ وكله ألسنة ناطقة بالشكر والدعاء * وقد نال رتبة المتمايز من الحضرة السلطانية فنهنئه بذلك بل نهنئ مصر والسودان وسنار وكردفان

وغير من ستر سلهم في المستقبل من الأحرار بعد أن تدربهم بعون الله تعالى على الأعمال الخطيرة وتستعملهم آلة في يديها كما فعلت مع أسلافهم

شفو ... شفو ... شفو ... أين أنتِ وكيف حالكِ وماذا فعل بكِ الدهر وقد حزن عليكِ والدكِ العظيم وابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم ؟.

شفو ... شفو ... أهكذا يكون الاخلاص والولاء والمحافظة على العهود والوعود وقد كان والدكِ النشيط الكريم يقدم اليك كل مرتخص وغال ويأمل من ورائك السعادة والنعيم ؟ * اللهم أشغل الظالمين بالظالمين واخرجنا من بينهم سالمين

شفو ... شفو ... شفو ... ماذا يكتب القلم عن هذه الجمعية الساقطة التي كانت تطبع تلك الاوراق التي اشرنا اليها واشتغلت بذكرها تلغرافات روتر وهافاس في حينه وقالت عنها وهي لا تعلم مصدرها الحقيقي « ان أهل الآستانة حانقون على جلالة السلطان ونشروا فيه أوراقا مهيجة وان حزب الاحرار دبّر مكيدة للفتك بذاته الشريفة » مع ان الاحرار تترفع نفوسهم الأبية عن أعمال دنيئة كهذه ؟* تلك الاوراق

الشنيعة التي لو علم أصحابها وطابعوها ان الايام ستكشف أسرارهم وان أهل الآستانة لايعبأون بها ولا يعوّلون عليها ولا يتأثرون منها ولا يحركون ساكناً على جلالة السلطان بواسطتها لضربوا بها عرض وجوههم ولَمَا أقبلوا على مافعلوه فجعلهم موضع الاحتقار والازدراء

بسم الله الله أكبر : الله أكبر : على مَن يدخلون البيوت من غير أبوابها ويطلبون الاصلاح من غير وجوهه ويقصدون السوء لجلالة السلطان ويؤلّفون العصابات لسفك دمه الشريف * ألم تعلموا يامَن أعماكم الغرض وأضلكم الهوى ان هذا العمل الشنيع تقشعر منه الانسانية والمدنية ولا يأمر به الدين القويم مطلقاً ولا ينفع الأمة والدولة بشيءٍ مّا بل يضر بهما اضراراً بليغة مادياً وأدبيًّا وسياسيًّا والتاريخ شاهد عدل بصحة ما أقوله ؟ * فان قلتم انكم كنتم تقصدون بتأليف تلك العصابة الأثيمة إجبار جلالته على الاصلاح : طلبنا منكم ان كنتم من عشاق الاصلاح حقيقة ان تصلحوا أنفسكم أولاً وتقوموا المعوج من أموركم وتجعلوا بينكم وبين هؤلاء الجواسيس المنتشرين في مصر تحت ظلكم كالجراد سدًّا لتريحوا أنفسكم

من مكرهم وشرهم وقلاقلهم وسوء أعمالهم التي أضحكت الناس عليكم واشغلت بالكم ولا تفيدكم بشيء مطلقاً ولا تضر احداً من الناس أيضاً مادامت أعلام الحرية والعدالة مرفوعة في البلاد من أقصاها الى اقصاها: وقلنا لكم ان طلب الاصلاح لا يكون مطلقاً بمثل هذا الهذيان بل يكون باستعمال الآداب ومراعاة الاعتدال وعظيم الخضوع والخشوع لمقام السلطنة السنية وهو ما يفعله العقلاء من حزب تركيا الفتاة ومالا يؤخذ بالعنف يؤخذ باللين

وان قلتم انكم كنتم تقصدون بتاليفها ان تضموا اليكم وتجمعوا حولكم أولئك الناس الذين ارسلتموهم الى الآستانة لتظهروا بذلك حسن اخلاصكم للذات الملوكية ولتحصلوا على مطالبكم التجارية حيث قد عجزتم بسوء سياستكم عن رد دولة الداماد ونجليه [1]: قلنا لكم ولماذا كنتم تساعدون مراد بك

(١) ذكرنا في صحيفة ٢٧ من هذا الكتاب ما كان من أمر توجه دولة الداماد الى المحكمة المختلطة للتصديق على ذلك التوكيل الذى أشرنا اليه * ونذكر هنا استدراكا على ما فاتنا ذكره هناك ان ذلك كان في ١٨ ابريل سنة ١٩٠١ وقد صدق المحامي وشخص آخر من موظفي المحكمة لانتذكر اسمه الآن على أثبات ذاته وأما خروج دولته من الآستانة فقد كان في شهر ديسمبر سنة ١٨٩٩ * ومن العجيب

الداغستاني وغيره من الاحرار بالاموال الطائلة وانشأتم لهم الجرائد ليطعنوا بواسطتها على جلالة السلطان ؟ ولماذا طبعتم تلك الاوراق الثوروية وارسلتموها الى أعوانكم في الآستانة ليلقوها في الشوارع ويلصقوها على الجدران فينزعج جلالة السلطان ؟ : بل لماذا طبعتم كتاب « أم القرى » ورسالة « وحدة العرب » وغير ذلك من الكتب والرسائل الفاسدة

ان حكومة اليونان التي عرف الجمهور مبلغ محافظتها على الحرية واهتمام بعض وزرائها بالمنافع الشخصية طلبت من دولته أن يغادر بلادها فغادرها هو وفضيلة العالم المفضال محمد افندي قدري الى رومية عاصمة الطليان * وكان ذلك بعد أن طلب منها ان تمهله بضعة أيام ريثما يشفى من مرض « بريط » (البول الزلالي) الذى كان قد أصيب به * ومن المضحكات « وشر البلية مايضحك » ان هافاس لما طير الينا هذا الخبر بتاريخ ١٦ ديسمبر سنة ١٩٠١ أراد المؤيد نفعنا الله بعلومه وفضائله أن يشرح لقرائه هذا الداء حتي لاتفوتهم الفائدة فشرحه بما دل على سعة علمه وعظيم فضله حيث قال في العدد ٣٥٣٩ الصادر بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠١ مايأتي بالحرف الواحد: « برايت الذى يشير اليه التلغراف خطيب من خطباء الانكليز مشهور بحدته وذهابه مذهب المتطرفين من الاحرار حتى لقد كان يطلب من الحكومة اطلاق الحرية التامة بدون تقييد أو تحديد مما هو خارج عن نظام الحكومات الدستورية » اهـ

التي تلقي بذور الشقاق بين الترك والعرب وتحض هؤلاء على شق عصا الطاعة على الدولة العلية ووزعتموها في بلاد جزيرة العرب بمعرفة من انتدبتموهم لذلك من أهالي تلك البلاد ؟ * وهل هذا بالله عليكم هو مقدار غيرتكم على الاسلام والمسلمين واخلاصكم لتلك الذات السنية المنيرة ؟

وان قلتم ان هذا هو الذي خطر على بالكم وزينه لكم شياطين السياسة الذين يضحكون عليكم ويبتزون أموالكم من حيث لاتشعرون قلنا لكم اتقوا الله قليلا فى أفعالكم التي هي افعى لكم ان كنتم بالله تؤمنون

ماذا يقول العاقل عن عظيم يشتغل بالجاسوسية ويعد مثل هذه الاعمال الصبيانية سياسة صائبة ويتوهم انها تفيده مايشتهي وتنيله مطامعه الأشعبية فيصرف ماله على تلك العصابة الأثيمة وامثالها بدلاً من ان ينفقه على ماينفع أهل بلاده مادياً وادبياً ومعظم افرادها لايستطيع سبيلاً الي مايسد به الرمق ؟* ان هذا لشيء عجيب !!! ثم ان هذا لشيء عجيب !!!

فاما تلك المقالة التي نشرت فى جريدة جهينه بامضاء صالح بك بدرخان تحت عنوان « شفق العذراء او جمعية

الدم » وسبقت الاشارة اليها (١) فها هي بالحرف الواحد : قال

« خيم الغسق وتصرم الشفق فما تاريخ شفق وراء حجاب مستور فهاهوّل في شأنها جواسيس مصر وعظموها فحسبها بعضهم بركان الدينا ميت وسماها آخرون جمعية الدم الاحمر * وماهي الا بنت فكر عقيم عقّت اباها وكشفت عن محياها النقاب فعرفها الناس كما هي وخالفت مذهب ابيها في مسألة رفع الحجاب

قرأت العدد الأخير من جهينه « وعند جهينة الخبر اليقين » ووجدت فيها كلاماً عن شفق وغاياتها وبعض الحقيقة التي

(١) يقول الذين قرأوا هذه المقالة البليغة انها كتبت بقلم سعادة المفضال ابراهيم بك المويلحي ويؤيدون ذلك بقولهم ان صالح بك بدرخان لم يكن يحسن الكتابة بالعربية بهذا المقدار * اما أنا فلا أصدق هذا القول بل أقول ان هذه المقالة البليغة كتبت نفسها بنفسها بقلم يكتب وحده

ولمناسبة ما ذكرناه عن صالح بك بدرخان نذكر هنا ماجاء عنه بعد كلام طويل في العدد ٢٠ من جريدة « الخزان » الغراء وها هو بالحرف الواحد :« وغاية مانقوله الآن ان ابن بدرخان رفض السفر الي الآستانة بعد انقلاب المعية عن خطتها وقام يطالبها بمبلغ ٥٠٠ جنيه ويتهدد ويتوعد بافشاء أسرار تحمر منها الوجوه فطلب الي الاسكندرية حيث شاع انه خدع بطريقة تشبه الطريقة التى خدع بها اليون فهمي بعده ثم أرسلا الى الآستانة فسجن » الخ الخ اه

كاشفتني شفق بها ولم تخش عذل ابيها ولا ذكرت نعمائه عليها وسابق احسانه اليها * فلما رأيت جهينه تحب توخي الحقيقة فى اخبارها استأذنت شفق فى ان اكتب شيئاً عن تاريخ نشأتها وشيئاً من اخبارها واسرارها وان انشره في مجالة او اثنتين حتى لا يسيء الظن فيها ابوها ولا يقسو عليها محب او شفيق

نشات شفق تحت رعاية ابيها العالي من نحو ستة أشهر تقريباً فعهد الى رجل تربيتها وتعويدها الجسارة والاقدام والنطق « بالحق » فكانت كالسفينة الحديثة فى البحر المتلاطم الامواج لا تامن الغرق الا بحسن ادارة ذلك المراكبي او القبودان وكان ابوها قد تعرف به بعد فراره بشهرين وظنه قديراً على تربية الفتاة وتعويدها ما يجب فخصص له الف قرش فى الشهر وسلمه نفقات بنته العذراء وكل عذراء محبوبة * فاجتمع عند شفق ثلاثة فتيان أحدهم حلمي والثاني وجداني الارناؤطي وثالثهم عبدالله بائع البفاچه وهكذا * ثم ركب السفينة وسار بها ثلاثة بحارة وقبودان فألقت مرساها على شارع شبرا وكان الركب يجتمع فى منزل ظهرت انوارها منه وكانت شفق لعوبا لا تعرف هما ولا تحسب حسابا للغد لان اباها عظيم في

البلاد ويقدم لها من النفقات خمسون درهم من اللحم ومائة من الخبز لكل من بحارتها * غير انه جاء زمن طمع فيه القبودان بمال البحارة فقبضه عنهم وتخاصموا فكاد النوء يقلب سفينة «شفق» لولم يغيروا القبودان وترفع شفق صوتها الى أبيها * وبينما كانت شفق تنتظر ان يعين ابوها معلما صالحاً وقبوداناً حكيما اذ سمع بها شاب تركي جميل الطلعة مقرب من جلالة السلطان فعشقها واصبح «محب» لها ولم يترك لحظة عين تمر مدة اقامته فى العاصمة الا وكان يجتهد فى التقرب منها واجتذاب مودتها حتى يفربها لانه كان يعرف ان خطبتها من أبيها ضرب من الحماقة وان أباها يرد كل الخاطبين ويبذل كل ماله حتى يبقيها وراء حجابه ولا يظهرها للطالبين أملا ان سعادته منها * فاستغوى ذلك المحب البحارة بالمال حتى فروا بها ثم تبعهم الى الاسكندرية وهو يسأل الله ان يوفقه الى الفرار بمحظيته من ديار مصر ويسرع الخطى حتى لا يصل الخبر لأبيها فيستخلصها بقوة ماله ودهاء رجاله * هناك نزلت شفق فى فندق الآستانة وتوارى المحب فى فندق آخر حتى تخفى حركاته عن الرقباء ولا ينغص عيشه العذال * هذه قصة فرار شفق ولنعد الى أبيها : فانه لما انتهى

اليه خبر فرارها اغتم وتولاه الأرق وبث عيونه وأعوانه في كل ناد للبحث عنها وفي صدره تتأجج نيران الحزن والقلق ولم يكن الا وقد وصل بعض أعوانه الاسكندرية حتى زال عن خاطره الهم بوجود فتاته والبحارة الذين أئتمنهم عليها في ذلك الثغر فلم يعمد الى ارجاعها بالقوة حتى لا يتحدث الناس بأمر عقوقها ويفشوا الخبر على الالسنة فيقال فيها كل حديث منكر * بل عمد الى ملاطفتها وتطييب خاطرها ووعدها بان يزوجها من رجل كريم وان يمهرها المهر الثمين * فاستشارت شفق البحارة الثلاثة فتولوا مخاطبة أبيها بالنيابة عنها وكان السلك البرقي بين اسكندرية وكوبرى الليمون لايحمل برقه الا حديث شفق وحديثاً عن المحب المفتون * فما انقضى يومه وليله حتى عادت شفق بالبحارة الثلاثة الى حجر أبيها فاستقبلها من أعوانه (علي) وسار امامها فرحب بها أبوها كثيراً ولكنها ابت بعد ذلك ان تتقنع بحجاب أو تخفي جمالها عن واحد من الطلاب

عادت شفق وازال الله عن صدر أبيها الهم والقلق ولكن البحارة اوصدت عليهم الابواب وجعلوا بين الواحد والآخر حجابا واي حجاب * ثم جاء وقت السؤال والجواب وشفق في

مقرها جاهلة مايلقى خدامها من الوعيد تارة والوعد تارة أُخرى وعلى الجملة فانها كانت صماء لاتسمع الانين وعمياء لاتنظر مايلقونه من تعب البال وانواع العذاب * حلف عبدالله ان يطلق شفق فعاد الى بيع البغاچه وكيد لوجداني مكيدة عظيمة وهو في ظلمات السجون على ضفاف البوسفور لا ينفعه محب ولا يشفع به شفيق وكذا جرى لحلمي * والمعلم الصالح لم يعبأ بوعود ابي شفق لأنه علم ان كل كلام يصدر من أبيها ذاهب ادراج الرياح

ذلك حديث عن شفق يفهمه أبوها وان شئت أن تفهم لما ذا عقت « شفق » اباها وجفت عزتها فاصبر الى العدد الآتي وربك يكره المفسدين ويحب الصالحين » انتهى

هذا ما كان من أمر شفق او « جمعية الدم » وما يقوله أحد أعضائها عن كيفية تاسيسها مما يشهد بصحة ماقلناه ويقضي بالعجب العجاب * ولنعد الآن الى ما كان من أمر ذلك المندوب السلطاني بعد أن عاد الي الآستانة فنقول عملاً بما انبأنا به عظيم من عظماء الترك مشهور بسعة العلم وعظيم التقوى والصلاح وشرف النفس وعلو الهمة وحرية الضمير وشدة الغيرة على الدوله والملة والاسلام والمسلمين : قال حفظه الله

« لما عاد المندوب المشار اليه الى دار السعادة توجه الى المابين وأظهر الاستياء العظيم والكدر الشديد مما شاهده وحصل له وقال « ان ماشاهدته فى مصر من الامور الغريبة وما تحققته بنفسي من تلاعب المحبة واستهزائها بجلالة مولانا السلطان الاعظم واشتغالها بالامور الفاسدة وتالبها على جلالته قد أدهشني جداً ولا أستطيع أن أشرحه » * فارسل المابين تلغرافا الى عميد ابطال السياسة وهو والد المرحومة الست «شفق »هانم افندى بواسطة معتمده يقول فيه مامعناه « انك تتلاعب بي فى مصر فلا بد أن تخبرني بما فى فكرك والا أنا أفعل ما أعلم » وأمر المعتمد بان يقابله ويسلمه هذا التلغراف بيده فقام بما أُمر به ولم ندر ماتم بعد ذلك » اهـ

فاما تلك المطالب الستة التى أشرنا اليها فى مقدمة هذا الكتاب فهي كما يأتي نقلاً عن خطاب جاء من الآستانة الي هذا العظيم من سيد شهم جليل وعالم عامل نبيل طبقت شهرته الآفاق وبلغ صيته الى السبع الطباق وله من البطش الشديد مايسحق به أعداءه سحقاً ويحرق قلوبهم حرقاً

أولا — طلب الطالب امتيازاً باستخراج معادن الذهب من جزيرة

طشيوز وسعيه المظيم في بيع هـذا الامتياز قبل الحصول عليه لبعض الشركات الاجنبية بمبلغ ٥٠٠ ألف جنيه

ثانياً — طلبه جفلكا يعرف بجفلك ابراهام باشا الممتد من البوسفور الى مسافة ثماني ساعات

ثالثاً — طلبه قصر ابراهام باشا الموما اليه الكائن على ضفة البوسفور بما فيه من الرياش والاثاث ليكون ملكا له يصطاف فيه متي شاء

رابعاً — طلبه أن لا يمنح الباب العالي رتباً أو اوسمة الا بعد مراجعته في ذلك

خامساً — طلبه استصدار ارادة سلطانية بتصيبه ناظراً على وقف قوله بدلا عن دولة الاميرة الجليلة الفخيمة البرنسيس زبيده هانم افندى الناظرة الحالية التي خول لها هذا الحق بمقتضى شرط الواقف وهو المرحوم محمد علي باشا الكبير وحرم سعادة الشهم الهمام محمد باشا شاكر * ويبلغ ايراد هذا الوقف في كل سنة ٢٠ ألف جنيه

سادساً — طلبه امتيازاً بمد السكة الحديدية من جدة الى الحجاز وهذا الامتياز كان قد طلبه احد اغنياء مصر فرفض طلبه

هذه هي المطالب الستة قد ذكرناها بالاجمال على سبيل الفكاهة وسنشرحها بالتفصيل الكافي في الجزء الثانى ونشرح ما استعمله بعض رجال الصحافة العربية الذين طالما ادّعوا الأمة «بالوطن» و«الوطنية» من الوسائل لجلب الرتب والاوسمة لكثير من الناس باشتراكهم مع بعض رجال المعية السنية * الي غير ذلك من المسائل المهمة التي يهم الرأي العام الاطلاع عليها فارتقب أيها القارئ الكريم اني معك رقيب والى الله تصير الأمور وما ربك بظلام للعبيد

الفصل الثالث

في الكلام على ايعاز المعية الى فريق من الاتراك الفارين من تركيا باضطهاد المطبعة العثمانية واغلاقها وغير ذلك

كان جماعة من الاحرار في مصر يصدرون جريدة تركية اسمها « القانون الاساسي » ولشدة لهجتها سعى المابين كثيراً في استرضاء اصحابها وارجاعهم الى الآستانة * ومن ذلك انه أرسل اليهم شخصاً اسمه ميلو أفندي وهو من أعوان أحمد باشا جلال الدين رئيس جواسيس المابين وصهر العائلة الفخيمة الخديوية للاتفاق معهم على شروط الصلح * وبعد اخذٍ وردٍّ ودفعٍ وجذبٍ قَبِلَ جميعهم بالصمت والسكوت ما عدا أحدهم وهو حضرة صالح أفندي جمال الذى اخذ اصحابه يلاطفونه ويستميلونه اليهم حيث كان من شرط المابين ان يسكتوا جميعاً ولا يخط أحد منهم حرفاً * وقد تداخلت المعية الكريمة في الأمر واهتمت به كثيراً لتبرئ نفسها مما اتهمها به مراد بك

الدغستاني [1] بعدعودته الى الآستانة وكان من اهتمامها ان دفعت اليهم مبلغ الف جنيه فاقتسموه فيما بينهم وخص صالح افندي منه ٢٦٠ جنيها * وبعد صرف المبلغ المذكور عاد بعضهم الى الآستانة وامتنع رائف بك ورشيد بك مالم يدفع لهما نفقات الطريق فاتحفتهما المعية السنية بمائتي ليرة أخرى فسافرا * ولكنهما بدلا من ان يسافرا الي الآستانة سافرا الى اوروبا وهناك لعبا لعبة أخرى وصار استرضاؤهما مرة ثانية فعين الاول سكرتيراً أولا في سفارة بلجيك العثمانية والثاني سكرتيراً ثانياً في سفارة اثينا * وكل ماذكر وتفاصيل أخرى قد نشره المقطم الاغر في حينه بقلم فضيلة العالم الجليل محمد أفندي قدري العثماني الشهير حفظه الله

فاما صالح افندي جمال فانه أسس بما اكتسبه بجده واجتهاده

---

(١) هذا الرجل من أعاظم كتاب الاتراك الذين يشار اليهم باطراف البنان * وكان قد فر من الاستانة الى مصر واصدر جريدة باللغة التركية اسمها (ميزان) ضد الدولة وجلالة السلطان * ولما صدر عنه العفو السلطاني وعاد الي الآستانة قدم تقريراً الي المابين بما وقف عليه في مصر وقال ان المعية كانت تساعده وتساعد غيره من الطاعنين بالأموال الطائلة * وقد استاء المابين من ذلك كثيراً وغضب على المعية غضباً شديداً

وخصه من تلك القسمة مطبعة صغيرة له وسماها « المطبعة العثمانية » واصدر القانون الاساسي مرة ثانية باسمه خاصة على نسختين احداهما عربية والأخرى تركية وكان فضيلة العالم المشار اليه وغيره من أعاظم كتاب الترك يساعدونه في تحريرهما * وبعد أن صدر منهما بضعة أعداد أُغلقت المطبعة وحجز عليها بما دبر من الحيل واُستعمل من الدسائس

وبيان ذلك ان قوما من أصحاب المطامع الأشعبية والنفوس الشريرة كانوا يصدرون في جنيف جريدة تركية اسمها « عثمانلي » وكانوا قد أخذوا من المابين بواسطة احمد باشا جلال الدين نحو الفي جنيه عدا ما أخذوه من المعية السنية بواسطة شخص اسمه اسحاق سكوتي الطبيب في سفارة رومة العثمانية الآن ليعودوا الي الآستانة ولكنهم أبوا العودة * وبعد ان صرفوا مالهم في الشهوات ولم يبق لهم سبيل للحصول على مال آخر يصرفونه على ملذاتهم ويصدرون به جريدتهم ارسلوا الي ممدوح باشا ناظر الداخلية العثمانية يقولون « قد تحقق لنا اننا مخطؤن في اعمالنا وقد جئنا اليوم نطلب العفو بواسطتكم وتكفيراً لسيئاتنا الماضية أخذنا على عهدتنا ان نعطل جريدة القانون

الاساسي ونحجز كذلك على المطبعة العثمانية بما لدينا من الحيل والدسائس * وحيث ان الامر يحتاج الي تعضيد ألمعيـة لنا فنرجوا مخابرتها لتشد أزرنا »

ولما أجابهم الي طلبهم ووعـدهم بكل خير اذا نجحوا في عملهم ارسلوا احدهم وهو طونه حلمي الي مصر بلا اداة الجاسوسية في هـذه الايام بصفة مفتش « فوق العادة » لجمعية الاتحاد والترقي العثمانية التي هي عبارة عن اشخاصهم * وعند حضوره جمع حوله ثمانية اشخاص وهجم بهم في شهر يونيو سنة ١٨٩٩ على المطبعة العثمانية وضربوا صالح افندي وأرادوا أخذها منه قوة واقتداراً بدعوى انها للجمعية وان الجمعية هي التي اسستها * وقد قيل حينئذ ان المعية السنية الجليلة الشريفة هي التي اشارت على هـذا « المفتش » بذلك الهجوم واستحضرت له أولئك الاشخاص * وسواء صح هذا القول اولم يصح فلا جدال في ان القوم قد تضاربوا ونظرت من أجـل ذلك قضية جنائيـة امام محكمة عابدين الجزئية حكم فيها على صالح افندي وحده بغرامة خمسة جنيهات * وبعد هذه الواقعة بأسبوع تقريباً رفع « المفتش » بايعاز من المعية قضية باسم الجمعية وادعى ان المطبعة

ملك للجمعية وان صالح افندي كان كاتباً فيها من طرفها وطلب توقيع الحجز التحفظي عليها فأُجيب طلبه * وقبل توقيع الحجز كتب صالح افندي لعامل كان عنده من تبعة البلغار اسمه توفيق محرمي سنداً بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٨٩٩ يقول فيه ما ترجمته « قد أخذت من توفيق افندي محرمي من أهالي اسكي زغره التابعة لامارة البلغار مبلغ ١٥٦ جنيهاً افرنكياً في مقابلة الشركة معه فى المطبعة التى اسستها بمصر باسم المطبعة العثمانية وفى الجريدتين المعروفتين باسم « القانون الاساسي » و « قانون اساسي » الجاري نشرهما وفي كل نوع في معاملاتي المذكورة وقد حررت له هذا صكا بذلك» *وكان قصده من ذلك أن يمنع المحضر عند شروعه في الحجز ويحيل القضية على المحكمة المختلطة كما يحصل ذلك عادة في كثير من القضايا * ثم توجه ومعه هذا العامل الي حضرة عزتلو الفاضل يوسف بك آصاف المحامي عنه وأطلعه على السند المذكور واستشاره فيما اذا كان يعطل سير المتعرض له أم لا وحضرته أجابه بان هذا السند لاقيمة له لعدم تسجيله ولوجوده بعد رفع الدعوى *وقد سرق توفيق المذكور السند المحكي عنه مع ملابس أُخرى

وسلمه الي شخص اسمه رضا البحري وهو ذلك الرئيس الصوري لجمعية « شفق » السافلة الذي تغدق المعية السنية الجليلة الكريمة نعمها عليه * وهذا حول السند الي نفسه بتاريخ أول مايو سنة ١٩٠٠ وكتب عليه بلسان توفيق محرمي ما يأتي ترجمته « مبلغ المائة ستة وخمسين جنيه افرنكي المحتوي على هذا السند قد اخذته من رضا افندى البحري بالتمام وتنازلت اليه عن حق اشتراكي في المطبعة العثمانية »

ولما علم صالح افندي بما كان من أمر السارق ابلغ البوليس فضبط الواقعة ووجدت بعض المسروقات في منزل كان يقيم فيه رضا المذكور مع رفاقه * وبسؤال السارق الذى كافأته المعية السنية بعد ذلك على هذا العمل الجليل الشريف وارسلته الي الآستانة مع من ارسلتهم عن السند المذكور الذي له حكاية أخرى سيأتي الكلام عليها بعد قال انه فقده ولا يعلم مكانه وانه غير متمسك به مطلقاً وان الملابس كان قد أخذها من صالح افندى على سبيل العارية * وبارسال اوراق القضية بمعرفة البوليس الى نيابة الازبكية امرت النيابة بحفظها بناء على هذا الاعتراف وكان ذلك فى شهر شوال سنة ١٣١٧

وبعد ان مكثت المطبعة مغلقة الابواب مدة من الزمان صدر الحكم الابتدائي بتاريخ ١٦ ستمبر سنة ١٨٩٩ بعدم قبول الدعوى وقد ايدته محكمة الاستئناف بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩٠٠ والزمت طونه لي حلمي بالمصاريف * وبناء على ذلك تسلمت المطبعة الي صالح أفندى فباشر أعماله واعاد اصدار جريدته بالتركية فقط وذكر شيئاً عن « جمعية الدم » او « شفق العذراء » لم يرق فى عين أبيها العالي * وقبل صدور الحكم الاستئنافي المذكور عاد « المفتش » ورفاقه (وكانوا قد حضروا بعده الي مصر) الى تركيا بواسطة المعية السنية التى دفعت اليهم مالا طائلا من الاموال الاحتياطية المخصصة لاعلاء كلمة الدين ورفع شأن المسلمين وغير ذلك من المشروعات الخيرية الاسلامية مكافأة لهم على تعطيلهم المطبعة والجريدة طول هذه المدة التى لا تقل عن سنة * وهناك نالوا من « التحف » السلطانية ما يبث فيهم وفى غيرهم روح الهمة والغيرة والنشاط * وقد نال « المفتش » ما ناله رفاقه من تلك « التحف » طبعاً وعين سكرتيراً لسفارة مدريد العثمانية بخمس وسبعين جنيهاً في الشهر ولكنه ترك منصبه طمعاً في منصب أرقى منه واصدر جريدة سماها « انتقام » ثم « طاوول »

اي الطبل واخـذ يطبل عليها ويطعن على جلالة مولانا السلطان الاعظم طعناً فاحشاً فحكم عليه بالسجن المؤبد والطمع الكاذب يدق الرقبة

هذا ولما استلم صالح افندي مطبعته واصدر جريدته كما ذكرنا اوعزت المعية لاصلاح العلائق بين جلالة السلطان وسمو خادمه المخلص المتفاني في العبودية الي بعض جواسيسها بان يغروا جامعين الحروف الذين عنده على الخروج من المطبعة وان يغروا أيضاً « المطبعجي » على كسر آلة الطبع « المطبعة » واعطتهم من المال ما يستعينون به على ذلك ففعلوا ولكنهم لم ينجحوا بل ذهبت مساعيهم ادراج الرياح * ولو طاوعت القلم وكتبت ما استعملته بعد ذلك المعية السنية الجليلة الشريفة التى اشتهرت فى الايام الاخيرة بطول الباع فى التجسس وغير ذلك مما يفيد الامة والوطن ويرفع كلمة الاسلام والمسلمين ويعيد الى الدولة شبابها الزاهر ومجدها القديم من الدسائس لاقفال المطبعة لضاق المقام وطال الكلام * ولكنني أقول ان من تلك الدسائس انها اوعزت الى احمد بك العريس[1] ان يدبر الحيل

(١) قلنا في صحيفة ٤٥ من هذا الكتاب انه لا يبعد ان جلالة

لمخادعة صاحب « القانون الاساسي » واقفال مطبعته فدبر واكتشف واخترع من الحيل ما تعجز عنه الأبالسة والشياطين

مولانا السلطان الاعظم ينعم على هذا الرجل بنيشان أو رتبة بناءً على طلب سمو الجناب العالي * وقد صدق ظننا وتحقق قولنا حيث ان جلالته انعم عليه بالرتبة الثانية مع لقب بك * وقد ذكر المؤيد هذا الانعام في أحد أعداده وقال « انه جزاء ما أخلص فى خدمة جلالة الخليفة الاعظم من الخدم النافعة الجليلة المزايا !!! » * ولو سألنا المؤيد ماهي تلك الخدم النافعة الجليلة المزايا ... وطلبنا منه سردها واحدة فواحدة اظهاراً لفضائل المنعم عليه وما له من الايادي البيضاء على دولة آل عثمان من جهة : وليقتدي به الغير من جهة ثانية : وليبرئ المؤيد نفسه من تهمة التضليل والتمويه من جهة ثالثة : لما وسعه الا أن يغمض جفنيه ويسد أذنيه ويجيبنا بالصمت والسكوت خجلاً وحياءً * فأما أحمد العريس الذي يقول مفتخراً انه يجلس مع الجناب العالي جنباً لجنب ويمزح معه فقد كان كما علمنا من الخبيرين به يشتغل في محل والده التجاري المعروف في بيروت باسم (بكري العريس وأولاده) * وقد أفلس هذا المحل على مبلغ ينيف عن العشرين الف جنيه وحجز أرباب الديون على أملاك عائلته ولغاية الآن لم تصرف للدائنين حقوقهم وهو ما يجعل احمد العريس صاحب الخدم النافعة الجليلة المزايا .... وكل فرد من أفراد عائلته ساقطاً من الحقوق المدنية بالطبع الا اذا سددوا ما عليهم من الديون * ثم عيُن بوظيفة « مأمور اعشار » في قضاء صور من ملحقات ولاية بيروت ولم يمض على ذلك سنتين حتى عيُن قومسيراً للبوليس بما استعمله من الوسائط والوسائل * ثم طرد من هذه الوظيفة طرداً لجرائم

ويدل على طول باعـه في مثل هـذه الأمور النافعة الجليلة المزايا .... ولـكنه لم يفلح * ومن ذلك انه توجه ذات يوم الى فضيلة العالم الجليل محمد افندي قدري العثماني رئيس تحرير الجريدة المشار اليها وأظهر له انه يريد أن يشترك معه في

ارتكبها فتوجه الي بلغاريا وأصدر جريدة مصورة باللغتي العربية والتركية اسمها (اصلاح) ضد الدولة وجلالة السلطان * وقد طردته حكومة البلغار من بلادها اجابة لطلب جلالته فجاء الي مصر واستخدمته المعية في التجسس واصطياد الأحرار فأظهر براعة فائقة في مخادعة صالح بك بدرخان وليون فهمي *ولما عاد سعادة عثمان باشا بدرخان في ١٥ يناير سنة ١٩٠٢ الي الاستانة عاد معه العريس صاحب الخدم النافعة الجليلة المزايا !!! * ولم يصـل اليها حتى سلم الباشا للحكومة العثمانية ليحل به ماحل بغيره بفضل المعية التي لم تقصد بذلك الا الانتقام منه و« اغاظة » سماحة السيد أبي الهدى لتوسطه في العفو عنه كما يقول ذلك الخبيرون بمابين سماحته والمعية من شديد العداء والجفاء* وبمناسـبة ذكر اسم الباشا المشار اليه نقول انه لما فر من« دار السعادة »وجاء الي مصر عينت له المعية السنية مائة ليرة في كل شهر * ولما أعادته الي تلك الدار في يوليو سنة ١٩٠١ على البـاخرة « القاهرة »لم يترك الباخرة بل بقي فيها وعاد من فوره عليهـا ونزل في بيت بالرمل * لانه لما وصل الي الاستانة خاف من أن يفتك به حيث علم أن الذين تردهم المعية الي« دار السعادة » لا يرون فيها السعادة بل يؤخذون من الدار الي النار كما حدثتنا بذلك الاخبار*وقد وقع أخيراً فيما كان يحذرمنه كثيراً ولكل أجل كتاب

الجريدة وانه دفع مائة ليرة لهذا الغرض في أحد البنوك فرفض ذلك بكل احتقار لعلمه بما هنالك

ولما اعيت المعية الحيل في اقفال المطبعة وتعطيل الجريدة بحثت عن دسيسة اخرى فلم تجد في جعبة الدسائس غير رضا البحري ومعه ذلك السند الذي سبق الكلام عليه * فاتحفته بمبلغ عظيم من المال واوعزت اليه بان يرفع قضية على صالح أفندي بمقتضى السند المذكور ويدعي انه شريكه في المطبعة وعينت له حضرة حنا افندي وهبه المحامي وكيلا عنه[1] * وهذا استحصل على أمر من المحكمة بتوقيع الحجز التحفظي عليها فحجز بتاريخ ٢٧ و ٢٩ مايو سنة ١٩٠١ ولما توجه مع المحضر ليحجز خالف المحضر ماورد بالأمر المذكور وحجز على أشياء كثيرة لم يؤمر بحجزها ثم أغلق المطبعة أيضاً مع ان الأمر بالحجز لم يكن قاضياً بالاغلاق ولم يراع النصوص القانونية ويقبل الاشكالات التي رفعت اليه من وكيل صالح افندي

(١) علمنا من بعض المقربين ان المعية السنية عينت لهذا المحامي راتباً شهريا قدره عشرة جنيهات مكافأة له على ما أظهره من البراعة التي هي من قبيل تلك الخدم النافعة الجليلة المزايا .... فنهنئه بذلك ونتمنى له المزيد

فضلاعن كونه حجزاغلب الأشياء بلاوزن ولاعد طبقاً للقانون*
وقد ترتب على هذا العمل الذي كان بلا شك بايعاز من جهة
أُخرى حصول الشكوى من صالح افندي فى حق المحضر الى
رئاسة المحكمة فعاقبته اداريًا بقطع ثلاثة أيام من راتبه على
انه لو حصل هذا العمل منه أو من غيره في قضية أُخرى
لعاقبته عقاباً شديداً * وفضلا عما بينه وكيل صالح افندي من
الاوجه القانونية العديدة بمذكرته التي قدمها الى المحكمة قبل
عرض القضية على الجلسة للحكم فيها فقد حكمت المحكمة
بتاريخ ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٠١ بتعيين سعادة يوسف باشا عزت
من الياوران مصفيا للقضية وكلفته بتقديم تقرير بما يتراآى
له * فاستأنف صالح افندي هذا الحكم بتاريخ ١٦ يناير
سنة ١٩٠٢ واعلن سعادة الباشا المشار اليه بتاريخ ١٨ منه بعدم
السير في مأموريته لاسباب قانونية

ومن الطف مايقال ان سموّ الجناب العالي حفظه الله
وابقاه وجعله حصناً حصيناً لرعاياه أمر حضرة علي بك شاهين
قبل اغلاق المطبعة وتوقيع الحجز التحفظي عليها بيوم واحد
ان يخبر المحامي بان يحجز قبل كل شيءٍ على مكتب فضيلة العالم

الجليل محمد أفندي قدري ومكتب حضرة صالح أفندي ومافيهما من الاوراق قائلا له مامعناه « من حيث ان الحجز على المطبعة العثمانية سيتوقع غداً فاخبروا المحامي بان يحجز قبل كل شيء على مكتب قدري افندي ومكتب صالح افندي ومافيهما من الاوراق التي هي من أهم الاشياء عندي » * انتهى النطق الشريف

وكنت اود ان اذكر هنا صورة الاحكام الصادرة في هذه القضية وملاحظاتنا عليها ليعلم الناس ماهنالك من الأمور واني لا أكتب الا الحقيقة وان جرحت * ولكنني تركت ذلك الآن وسأعود اليه بعد في رسالة خاصة ان شاء الله تعالى حيث ان القضية لم تزل بين أيدي القضاة ولم يحكم فيها حكما انتهائياً * وسأذكر في هذه الرسالة أموراً لم اذكرها هنا مراعاة لاحكام الظروف والله الهادي الى الصواب

هذا ولا بد لنا من ملاحظة نلاحظها هنا فنقول : ان رضا البحري المذكور الذي يدعي اليوم انه شريك صالح افندي في المطبعة مستنداً على ذلك السند المسروق كان لا يملك درهما واحداً ولو لم تكن المية المشهورة بالسخاء والكرم الحاتمي تنفق عليه لما ربها لمات جوعا : وان توفيق السارق كان خادماً

عند صالح افندي وكان كذلك لا يملك درهما واحداً ؛ فكيف يصدق عاقل والحال كما ذكرنا ان الاول اشترى من الثاني هذا السند ودفع اليه ١٥٠ ليرة وان الثاني دفع مثل هذا المبلغ الى سيده صالح افندي ليجعله شريكا له في المطبعة والجريدة؟* هذا ما يجب على حضرات القضاة الكرام وعلى حضرة المحامي الغيور ان يفتكروا فيه ولو قليلا * ولا يظن انسان أني ادافع عن صالح افندي أو اعترض على أحد لمثل هذه السفاسف بل اقول ما يتبادر الى ذهن كل انسان ويتألم منه كل منصف * ومالنا ولذلك فلنبحث الآن فيما هو اغرب وأعجب : فنقول

لما كانت المعية السنية ارشدها الله الى الصواب في الاسكندرية في صيف سنة ١٩٠١ وقرب ميعاد سفر الحضرة الفخيمة الخديوية الى الآستانة دبّرت الحيل لخادعة فضيلة العالم الجليل محمد افندي قدري لترسله الى الآستانة مع من ارسلتهم من الاحرار * فدعته الى الاسكندرية زاعمة انه يحظى بكل التفات وكرم من قبل سمو الجناب العالي بهجة النفوس وقرة العيون ويتنعم بنعمه الجليلة وكرمه الحاتمي وأحالت هذه المأمورية العظيمة على حضرة حنا افندي وهبه المحامي السالف الذكر

لما تمهده فيه من عظيم الاقتدار على رتق الأمور وفتقها * وبعد ان قدح حضرته زناد فكرته الوقادة لقضاء هـذه المأمورية العالية « التي هي من قبيل الخدم النافعة الجليلة المزايا . . . » تقابل مع صالح افندي جمال وطلب منه ان يعرفه بفضيلته قائلا « اني أُريد ان اقابل حضرة الاستاذ قدري افندي وأتشرف بمعرفته لما علمته عنه من الفضائل والكمالات وارجوا ان تكون واسطة في ذلك » * فتوجه هذا الى فضيلته واخبره بما ذكر فامتنع وقال « اني لا أُريد مقابلة أحد ولا ان أسمع شيئاً يتعلق بالمطبعة لانها لا تهمني » فعاد الرسول الى المحامي واخبره بما سمعه وشاهـده فكلفه بان يعود اليه ثانياً ويعرفه انه يريد التشرف بمقابلته لأمر مهم يتعلق بشخصه لا بالمطبعة

ولما عاد صالح افندي الى فضيلة الاستاذ حفظه الله واخبره بذلك توجه فضيلته معه اكراما لخاطره حيث اكثر من عبارات التضرع والالتماس وعند وصوله الى المحامي رحب به كثيراً ولاطفه ملاطفة « فوق العادة » تشعر بان هنالك مآرب اخرى * ثم اركبه عربة وتوجه معه الى الجزيرة وفي أثناء الطريق قال له « ان سمو الخديوي متكدر جداً من وجودكم

على الدوام في قهوة استانبول الملعونة وهو يهتم بشأنكم ويشفق عليكم كثيراً ويريد ان تتوجهوا الى الاسكندرية لتحظوا بمقابلته وان تقيموا هناك في منزل عظيم يستأجره لكم اوفى لو كندة كبيرة تليق بقدركم وفضلكم فارجوا ان تتوجهوا معي اليها سريعاً لتنالوا الخيرات الواسعة والنعم الوافرة واعلموا ان سموه مستعد لاسترضاء حضرتكم باضعاف.. اضعاف.. اضعاف.. اضعاف.. قيمة المطبعة »* فاجابه قائلا « اني لا أتوجه الى الاسكندرية ولا حاجة بي الى مقابلة الخديوي مطلقاً وان كان سموه يريد ان يفعل خيراً اشكره عليه مدى الدهر فلينظر الى صالح افندى بعين الرأفة والشفقة وليصدر أمره الكريم بفتح مطبعته التي لا علاقة لي بها ليرتزق منها حيث اصبح هذا المسكين فى اتعس حالة بسبب ماتعلمونه من الاعمال التي لا ترضي الله ولا عباده » * وبعد عودتهما من الجزيرة قصد فضيلة الاستاذ تلك القهوة « الملعونه » كعادته

فأما المحامي فقد توجه الى حضرة علي بك شاهين وأخبره بما حدث ثم عاد مسرعاً الى القهوة « الملعونه » وأخذ فضيلته ودخل معه حديقة الازبكية وهناك عادت حليمة لعادتها

القديمة حيث أخذ المحامي يلتمس منه أن يتوجه الى منزل البك قائلاً « بما انني عاهدت حضرة البك على ان تتوجهوا معي اليه فأرجوكم ثم أرجوكم اجابة طلبي اكراماً لخاطري حتى لا يسود وجهي معه لأنني أخجل ان أعود اليه بغيركم » * فأجابه بقوله « انني سأفتكر في هذا الأمر واذا رأيت الظروف لا تمنعني من التوجه أجيب طلبكم اكراماً لخاطركم حتى لا يسود وجهكم ولكن يجب أن يكون معي صديقي ... [1] وغداً أعطيكم الجواب » * وقد حضر في الغد فاعتذر له فضيلة الاستاذ عن عدم التوجه ثم كتب خطاباً الى حضرة علي بك شاهين يعرّفه به عن الأسباب التي تمنعه من السفر وسلمه الي المحامي ليوصله له * وبعد يومين حضر هذا مرة ثانية الى القهوة « الملعونه » لمقابلة فضيلته ثم أركبه عربة وتوجها معاً الى الجزيرة وهناك أخذ يتملق له ويكثر من عبارات التضرع والالتماس ليتوجه معه الى البك * وقد أجابه فضيلته الي طلبه حيث سئم من هذه التضرعات ولكنه عاد الى القهوة « الملعونه »

---

(١) لم نذكر اسم هذا الفاضل لأسباب اقتضت ذلك وانما نرمز اليه بالرحالة المشرقي

ليأخذ معه صديقه الرحالة المشرقي ثم توجهوا جميعاً في عربة واحدة فاستقبلهم رب المنزل استقبالاً حسناً وهش في وجه فضيلة الاستاذ وبش * وبعد ان جلسوا قليلاً خرج رب المنزل والرحالة المشار اليه الي الحديقة وفي هذه الاثناء أخذ المحامي السياسي يهدد فضيلة الاستاذ بقوله «انني سأطلب من المحكمة ان تأخر القضية ستة شهور واذا انتهت هذه المدة أطلب تأخيرها مدة أخرى وهكذا وعند ماتحكم المحكمة على صالح افندي عملاً بما ستؤمر به أطلب منه أن يقدم لي حساباً عن كل ماطبعه في المطبعة من كتب وجرائد ورسائل ونحو ذلك حتى يرى العذاب الأليم حسب رغبة الجناب العالي الخديوي» * فغضب فضيلته وهاجت عواطفه الشريفة وقال « ان هذه المطبعة لاتهمني مطلقاً كما قلت لكم قبل الآن وانني أتعجب منكم جميعاً لاشتغالكم بمثل هذه الدنايا التي لا يتنازل اليها أسفل انسان في الدنيا وأتعجب أيضاً من ارتياح ضمائركم من هذه المظالم التي تفعلونها وتقولون بلا خجل ولا حياءٍ انكم مأمورون بفعلها من خديويكم واذا كان هو الذي يأمركم بها كما تقولون فكيف أقابله ولماذا تطلبون مني ان أسافر اليه في الاسكندرية

ألا تخشون الله من هذه الاعمال وتستحون قليلا ؟ » ثم خرج بدون ان يسلم على أحد وعاد الي القهوة « المموته » وبعد فترة من الزمن عاد اليه صديقه الرحالة المشرقي وكان البك قد طلب منه كثيراً ان يسعى فى تسفيره الى الاسكندرية ودفع له على ما يدعي ستة جنيهات لنفقات الطريق فسعى فى ذلك ولكنه لم ينجح * فعندئذٍ سافر الرحالة المشار اليه وأخذ معه حضرة صالح افندي جمال ولما وصلا الى الاسكندرية قصد الرحالة سراي رأس التين العامرة وطلب المقابلة الخصوصية فرُفض طلبه * لأن حضرة علي بك شاهين كان قد علم من الجواسيس أنه سافر ولم يكن معه فضيلة الاستاذ وارسل تلغرافاً الى سمو « افندينا » رب الحكمة والمروءة والشهامة ومنبع مكارم الأخلاق يقول فيه ما معناه « ان ... (يعني الرحالة المشرقي) خدعني وأخذ مني ستة جنيهات بحجة انه يتوجه الي الاسكندرية ومعه قدري افندي وهو اليوم متوجه اليها ومعه صالح افندي فالتمس عدم مقابلتهما » اه

ولم يقصد حضرة البك بهذا التلغراف الا تبرءة نفسه وتبرءة رفيقه المحامي أيضاً مما اتهمها به بعض الجواسيس من

انهما هما اللذان منعا فضيلة الاستاذ قدري افندي من السفر بما استعملاه من سوء التدبير والسياسة * وقد تألفت لجنة في سراي رأس التين العامرة لاستنطاق الرحالة المشار اليه عما نسب اليه زوراً وبهتاناً فأجاب بما أثبت براءته ثم عاد ومعه صالح افندي الى مصر * وبعد عودتهما ظهرت المسئلة الشرقية الكبرى التي أشغلت الحكومة والصحف مدة طويلة على غير طائل فأبطلت كل تدبير وأفسدت كل سياسة يقوم بها رجال المعية ابطال السياسة وأطلقت سراح الأحرار الذين تصيدتهم المعية وحجرت عليهم في السراي لترسلهم الى الآستانة * أما تلك المسئلة فهي مسئلة لبون فهمي الارمني المفقود

ولكي لايظن القارىء اني أكتب ما لا صحة له أو احدثه بشيء من قبيل الحكايات القديمة أو القصص الخرافية لغرابة حدوث هذه الأمور في زمن أشرقت فيه شمس العدالة والحرية وابطل الرق والاسترقاق وأوقف كل جبار عنيد عند حده وحفظ أموال الناس من السلب والنهب وصان اعراضهم من سطو الفسقة عليها : أنشر هنا صورة خطاب أرسله اليّ حضرة الاديب الفاضل صالح افندى جمال صاحب

جريدة القانون الاساسي والمطبعة العثمانيـة بتاريخ ٨ فبراير سنة ١٩٠٢ يصدق به على جميع ماذكرته عن المطبعة العثمانية وهاهو بالحرف الواحد: قال

﴿ حضرة الفاضل علي افندي يوسف الكريدلى ﴾

من بعد وافر التحية: قرأت الفصل الثالث من الجزء الاول من كتابكم الجليل المسمى (معرض السياسة) فوجدت جميع ماذكرتموه فيه مما يتعلق بحادثة المطبعة واهتمام المعية بتسفير حضرة فضيلة استاذنا العظيم محمد افندي قدري الي الاسكندرية وانتدابها حضرة حنا افندي وهبه المحامي لقضاء هذه المأمورية السامية صحيح صحيح * ولعمري ان ذلك مما يشهد لكم بطول الباع في الحصول على الاخبار الصادقة التي تجعل لكتابكم أهمية عظمى في عالم المطبوعات * وأزيد على ما كتبتموه في الفصل المذكور فأقول: ان أعضاء جمعية «شفق» كانوا قد طبعوا في مطبعتي قبل الحجز عليها عدداً من جريدة أصدروها باسم «شفق» ولكنهم لم يوزعوه لحضور بعض الرجال الي المطبعة والتماسهم مني جملة مرات ان أرسل جميع هذا العدد الي سراي عابدين العـامرة حتى لاينتشر * فأجبت طلبهم وأخـذت جميع ماطبع من العـدد المذكور وتوجهت الي السراي المشار اليهـا وسلمـته لحضرة عزتلو احمد بك شفيق سكرتير افرنكي المعية السنية وحضرته استلمه مني بأمر الجناب العالي * وياليتكم نشرتم صورة الاعـلان الذي طبع أيضاً في مطبعتي

بامضاء صالح بدرخان : وحامي : ووجداني : وعبد الله الرفاعي لما فيه من العجائب والغرائب * هذا مالزم وتفضلوا بقبول مزيد شكري واحترامي (صالح جمال)

صاحب جريد القانون الاساسي والمطبعة العثمانية

مصر في ٨ فبراير سنة ١٩٠٢

***

ليون فهمي الارمني المفقود

(فتشوا عن المرأة)

وحيث قد وصل بنا الكلام الى مسئلة ليون فهمي الارمني المفقود فيلزمنا أن نتكلم عليها ونبين للناس ما جرى فيها من الغش والتدليس وما استعملته المعية من الحيل والوسائل للتمويه والتضليل وذر الرماد في العيون لإخفاء الحقيقة وعدم معاقبة الذين تسببوا فيها وهم يستحقون العقاب من أجلها * ولا نريد بذلك الا أن تعيد الحكومة العادلة التحقيق في هذه المسئلة المهمة حتى تظهر الحقيقة ويعاقب المتسبب في حدوث هذه الحركة التي أرعدت الفرائص وأقلقت الخواطر وألقت الرعب في القلوب عقاباً شديداً تأديباً له وعبرة لغيره ومنعاً لحدوث مثل ذلك في الحال والاستقبال وتسكيناً للخواطر الثائرة

وتهدئة للقلوب الوجلة والنفوس المنزعجة

ولا نقصد بطلب اعادة التحقيق ان نقول مايقوله بعضهم من ان التحقيق الاول الذي جرى فى هذه الحادثة المزعجة كان على حسب ماتهواه النفوس لا على حسب ماتحبه العدالة * لأننا نعتقد تمام الاعتقاد ان أولياء الأمر من المحتلين الذين ناولونا كؤوس السعادة والرفاهية وسقونا شراب العدالة والحرية فضلا منهم واحسانا وجعلوا مصر تتيه عجباً وتميس طرباً وتفتخر على غيرها من الأقطار والأمصار بعدان كانت ملعباً تمثل فيه الفظائع وتقتل فيه النفوس علناً لايخشون في الحق لومة لائم ولا يحولون عنه ولو كان في جانب أعدائهم وهو ما جعل نفوس الأمة المصرية بأسرها بل نفوس العالم أجمع مولعة بحبهم وجعل ألسنة الخلق وهي أقلام الحق ترتل آيات الحمد والثناء عليهم

وانما نقصد بذلك ان نقول ان سماء المدنية قد أمطرت مالا طائلا من خيراتها العميمة على رجال الصحافة وغيرهم كما سيتبين ذلك مما سيأتي فأضلوا رجال الاحتلال بما كتبوه من عبارات التمويه والتضليل وبذلك ضاعت الحقيقة وانقضى

الأمر * نقصد ان نقول ان فقدان شخص في أرض مصر ومحو أثره من عالم الوجود ليس من الهين اللين وان السكوت على ذلك وعدم البحث عن المتسبب فيه لمعاقبته وترك مصر ميداناً لأولي الدسائس والمكايد والحيل ليس من حسن السياسة ولا من العدالة لأن ذلك يجرىء القوم على ارتكاب كل فظيع وعمل كل منكر ويجعل مصر كالآستانة ويدعو الى اساءة الظنون وكثرة القيل والقال والقاء الرعب في قلوب الخاصة والعامة ويبقي كما قال المقطم في بادىء الأمر في نفوس داخل القطر وخارجه آثاراً سيئة تدوم فيها طويلا

فاما ليون فهمي الارمني المفقود التعيس الحظ فقد كان من باعة الجرائد فى الآستانة ولم يكن حائزاً لأية رتبة أو أي وسام بخلاف ماذكره المؤيد حيث قال انه من أصحاب الرتبة الثانية * ثم جاء الى مصر وأصدر جريدة اسمها (ميزان عدالت) ضد الدولة وجلالة السلطان * وبعد ان أصدر منها بضعة أعداد أبطلها حيث زينت له نفسه الاحتيال على بسطاء العقول الذين أصيبوا بداء الرتب والنياشين وهو ذلك الداء العضال الذي طالما دمّر بيوتاً كانت عامرة وأذل قوماً بعد العز ووضعهم بعد

الرفعة وأفقرهم بعد الغنى * وقد فلد الطغراء السلطانيـة ولفق أوراقا مطبوعة باسم المابين وأخذ يضحك على هذا وذاك من أولئك البسطاء عبّاد الألقاب الضخمة ويوهمهم بأن في استطاعته أن يحضر اليهم ما يشاؤن من الرتب والنياشين وبذلك نال مالا طائلا * ولم يكن هو الذي طرق هذا الباب وحده بل قد طرقه قبله كثيرون غيره من السلّابين النهّابين

ولقد كان ليون فهمي الارمني المفقود التعيس الحظ يتردد على امرأة ازميرية تدعى « فطنه » وهي من النساء اللواتي يتاجرن بما لا يحتاج الى رأس مال * وهـذه المرأة كانت قد سافرت الى أزمير لتتصيد ذوات الحسن والجمال كما تتصيد المعية السنية الاحرار وهناك غرّرت بامرأة اسمها « ناچيزه » وأوهمتها بأنها من الشريفات الغنيات الشهيرات في مصر وطلبت منها أن تأتي اليها معها لتبدل الهواء كما توهم المعية السنية الاحرار وتطلب منهم أن يتوجهوا الى الاسكندرية لينالوا من الخيرات ما يجعلهم من أسعد السعداء وأغنى الاغنياء* ولما أجابتها « ناچيزه » الى طلبها وحضرت معها الى مصر زجّت بها فى مكان من الأمكنة المعدة لاستقبال الزائرين

والزائرات كما تزج المعية أولئك الاحرار فى المنزه ورأس التين فمنذئذ أخذت تبكي وتستغيث وتطلب من تلك « الشريفة الشهيرة » أن تردها الى وطنها * وفي هذه الاثناء حضر ليون فهي الى ذلك المكان فشكت « ناچيزه » اليه أمرها والتمست منه لتوهمها انه مسلم أن يردها الى ديارها فطيب خاطرها ووعدها بتسفيرها الا انه أمضى ليلته معها بالرغم عنها حيث قد سلبت منه مهجته بجمالها * وقد تمكن فى تلك الليلة من استمالتها اليه وزيّن لها الخروج من هذا المكان والاقامة معه الى أن يتسنى له تسفيرها ففعلت حيث فرّت معه في الصباح وكان قصده من ذلك أن يتخذها محظية له * وبعد ذلك ببضعة أيام سافر هو وعشيقته الى الاسكندرية وهنالك لعب لعبة نال بواسطتها ٥٠ ليرة فسافر وهي معه الى بيريا ببلاد اليونان لتمضية بضعة أيام فيها على سبيل الرياضة وكان قد صرف من هذا المبلغ ١٧ جنيهاً فى ابتياع ملابس له ولها * ولكنه لم يصل الى بيريا حتى ضرب اخماسه في اسداسه وباع ساعته وملابسه وعاد من فوره هو وعشيقته الى الاسكندرية ثانية لأن مابقي معه من المبلغ المار ذكره وقدره ٢٣ جنيهاً سرق منه في الباخرة

ولقد وصل أمر هذه الغادة الحسناء الى المعية السنية بواسطة جواسيسها فاشفقت عليها ... وكانت أحمد كمال أحد أولئك الجواسيس باجراء ما يلزم لتخليصها وتسفيرها * فتوجه هذا الى ليون فهمي وكلفه لصداقته معه بالتوجه الى مصر لقضاء حاجة له واعطاه ما يلزم من المصاريف فقَبِلَ ذلك منه * وبمجرد حضوره الى مصر نقلت المعية « ناچيزه » من مكانها الى فندق آخر على مصاريف الجيب العامر وقطعت لها من شركة البواخر الروسية تذكرة من الدرجة الثانية لتسافر بمقتضاها الى ازمير ولكنها عادت فابقتها بضعه أيام لأمر ليس من شأننا التعرض اليه مراعاة للآداب ثم سفرتها بعد ذلك على الباخرة « القاهرة » وأوصت ربانها بالمحافظه عليها والاعتناء بأمرها * ولم تفعل المعية ذلك لشهامة أو مروءة كما يقول جواسيسها حتى كنا نشكرها ونثني عليها من أجله بل فعلته انتقاماً من ليون فهمي الذي كان يتوعدها ويتهددها بافشاء ما وقف عليه من أسرارها كما يفعل الجواسيس اليوم معها

ولما عاد ليون فهمي الى الاسكندرية ولم يجد عشيقته حنق على احمد كمال طبعاً وعقد النية على الانتقام منه أخذاً

بثاره لتحققه انه هو الذي خدعه وفرّق بينه وبين مالكة قلبه * فتربص له حتى رآه ذات يوم نشوانًا لايعرف يمينه من شماله ولا يومه من أمسه ولا أمامه من خلفه ولا فوقه من تحته فسرق منه أوراقه التي كانت معه واستعملها سلاحا في يده يشهره متى شاء * وكان من بين تلك الأوراق كتاب أرسله ممدوح باشا ناظر الداخلية العثمانية الى احمد كمال يقول فيه ما معناه

« (يا بنيّ — لقد علم جلالة السلطان انك من أكثر الناس اخلاصاً له ولدولته ولذلك فان جلالته منشرح الصدر مسرور الخاطر منك واني أبشرك بما نلته من الالتفات السلطاني الذي لم ينله احد سواك ونظراً لاخلاصك للدولة والملة فانّي اكلفك بان تجسس لنا على اعمال الخديوي ومعيته وأن تتحرى لنا عن مسئلة الخلافة العربية التي يسعى في نيلها ذلك الغلام الخائن لدينه ودولته وسلطانه *وأعلم بان مرتبك قد سلمناه لابراهيم بك لطفي (١) وهو حوّله الي وكيله صالح افندي في مصر لانه سيمكث هنا مدة من الزمان فتوجه الى الوكيل المذكور وخذ منه راتبك » انتهى

ولما وقع نظر ليون فهمي على الجواب المذكور داخله

---

(١) يقال عن هذا البك انه جاسوس خصوصي في مصر لناظر داخليه الدولة العثمانية ومما يتحدث به الناس عنه انه يدعى بأنه مندوب ثان للمابين في مصر ويشتغل بالسمسرة في الرتب والنياشين

الفرح والسرور وأرسل صورته الى سمو مولانا الجناب العالي الذي تهنىء الأمة المصرية بل الاسلام والمسلمين بأدبه ولطفه وذوقه وذكائه ودهائه وعزمه وحزمه وفطانته وسياسته وكياسته وفصاحته وفراسته ورقته وعلمه وفضله ومكارمه وشهامته وطهارة قلبه وسلامة نيته وشريف عواطفه وحميد صفاته وجليل سجاياه ولم يكد سموه لازالت عُرى المودة والصداقة مرتبطة بينه وبين دولة آل عثمان ينتهي من قراءته حتى استاء وتكدر خاطره الشريف كثيراً لاساءة ظن الدولة به رغماً عن تصيد معيته الاحرار وردهم الى الآستانة * ثم استحضر سموه احمد كمال الذي عدلت المعية عن رده الي الآستانة وزادت مرتبه حتى لايفشي أسرارها لناظر الداخلية العثمانية حيث كانت تسعى في مخادعته لترده اليها وتظن انه جاسوس لها لا عليها وسأله عن الجواب المذكور فأنكره طبعاً وقال ان ليون فهمي هو الذي لفقه لينال بذلك نوالا * فلم يصدقه سموه بل أرسل أحدهم الي ليون فهمي يطلب منه ذلك الجواب بعينه فلم يعطه له بل أجابه بما معناه « بما ان المعية قد أخذت مني عشيقتي وحرمتني منها وهو ماجعلني أتقلب على ما هو أحر من الجمر فلا أعطيها هذا

الجواب ولا أسلمه اليها الا اذا دفعت اليَّ مائة جنيه » * ولما عاد الرسول وأبلغ المعية ماسمعه وشاهده طلبت حضرة علي بك شاهين رئيس الجواسيس من مصر وأحالت عليه هذه المأمورية السامية لما تعهده فيه من الاقتدار على الاعمال الخطيرة ولما له من السياسة العالية والافكار الصائبة والآراء السديدة * فاستأجر حضرته محلا في فندق بالرمل اسمه (انجلو امريكان) وأخذ يتقرب من ليون فهمي ويتودد اليه ويسحره بما يظهره له من صدق الولاء والاخاء * ولما امتنع التكليف . . من بينهما دعاه الى الاقامة معه في فندقه على مصاريفه الخصوصية ليأتنس به . . . فأجابه الي طلبه وهو لا يعلم مادبره له القضاء ولا في أي يوم ينقضي أجله ويمحي أثره ولا في أية ساعة يتناول السبانخ والبيض . . . وتشتغل به الصحف على اختلاف أجناسها وتباين مذاهبها ومشاربها: وسبحان الحي القيوم

ولم يمض على ذلك بضعة أيام حتى أخبره علي بك شاهين « بمحظوظية » الجناب العالي وان سموه أنعم عليه بشيء عظيم من خيراته العميمة ثم طلب منه كما يقال ان يتوجه الي السراي لينال ذلك الانعام * فركب عربة وتوجه اليها مع أحد رجال

التشريفات وكانت هذه آخر مرة توجه فيها ليون فهمي الارمني المفقود الي السراي ولم يعلم حاله بعدها بل لم يخل شبحه انسان من عارفيه بل كأن الناس فقدوه بالمرة * ولم يكد ليون فهمي يصل الي السراي حتى استولى علي بك شاهين على جميع أوراقه بما فيها ذلك الجواب من غرفته وأرسلها الى السراي صحبة وكيله حسن افندي لترفع الي « الملجأ الأعلى » أو « محل الايجاب »

بيد اننا نذكر هنا واقعة حال أبلغنا اياها صديق ثقة عن ليون فهمي في آخر عهده به وهي : انه بينما كان ليون فهمي المفقود ماراً بعربته قاصداً سراي رأس التين وقع بصره على أرمني صاحب حانة كان يأوى اليها المذكور في بعض الاحيان وعلى شخص آخر وهو أرمني أيضاً واسمه بدروس فأوقف العربة وناداهما وقال لهما « اني دعيت الي سراي راس التين وها أنا متوجه اليها ولكنني أشعر بخفقان في قلبي كأني أحس بأمر جلل وحادث خطير يتعلق بذاتي فاذا غبت عنكما زمناً طويلاً فبلغا عني دار القنصلية الانكليزية » * ثم ودعهما وأخذت العربة تعدو به الي أن وصل

السراي وهذه التي عصا التيار واستنام لحوادث الليل والنهار ... ولله در القائل

اذا رأيت أموراً * منها الفؤاد تفتت
فتش عليها تجدها * من النساء تأتت

ولما طال أمد انتظاره على صديقيه المذكورين توجه أحدهما وهو بدروس في اليوم التالي الي السراي ليسأل عنه فأخذه حضرة عزت بك رئيس قلم تركي المعية وتوجه معه الي علي بك شاهين بفندق انجلو اميركان المار ذكره * ولما وصلا اليها تكلم عزت بك مع علي بك على انفراد وقال له بصوت عال سمعه بدروس حيث كان يخترق السمع « ان أصحاب ليون يحثون عليه فماذا نفعل وبأية طريقة نخلص » فلم يجبه بشيء لما أصابه من الاضطراب والاندهاش بل أخبر السراي بالأمر وأخذ يتكلم معها بالتليفون كما حدثنا بذلك الطائر الجوي وكان كلامه بصوت عالٍ سمعه بدروس أيضاً الذي كان من أمره ان تركهما وتوجه الى شقيق ليون فهمي المدعو الكسان بول جيجكيان وأخبره بالحادثة * ولما علم هذا بأمر أخيه أبلغ الأمر تلغرافياً الى فخامة اللورد كرومر مصلح مصر

العظيم ثم توجه ومعه بدروس المذكور في يوم ٢٦ يونيوسنة ١٩٠١ الي جناب قنصل جنرال دولة انكلترا الفخيمة بالثغر وأبلغاه واقعة الحال وقالا له ضمن بلاغهما ان ليونا أُخذ في مركبة الى سراي رأس التين بواسطة أحد رجال التشريفات ومنها أُرسل الي سجن الترسانة الي أن يتسنى تسفيره الي الآستانة وانه كتب اليهما بذلك من السجن المذكور وطلب منهما ابلاغ جناب القنصل الموما اليه ليتداخل في الأمر ويسعى في إخراجه من السجن بدعوى انه من تبعة الدولة الانكليزية محررة الامم من رق الأسر ومنقذة الشعوب من مخالب الاستبداد * فحرر جنابه مذكرة بعث بها الى جناب هارنجتن بك حكمدار بوليس الثغر وقتئذ مع أحد قواصة القنصلية وأصحبه بشقيق ليون ورفيقه * وبعد ان قابلهما جنابه بعث بهما الي سعادة المحافظ وسعادته بدلاً من أن يحقق المسئلة عملاً بما تقتضيه وظيفته هدد شقيق ليون قائلاً له « انك تستحق السجن أيضاً مع أخيك » كأن سعادته يعلم بجناية ارتكباها واستحقا عليها في نظره العالي السجن والعقاب * ولكن ماهي تلك الجناية ياترى التي أشار اليها سعادته في

وعيده وتهديده لشقيق ليون ؟ * ألم يكن هذا التهديد الشديد الذي هو من قبيل الاستبداد القديم (لا رحم الله أهله) برهاناً ساطعاً على ان سعادة المحافظ الحكيم يعلم خبيئة الأمر وان ليون فهمي التعيس الحظ مسجون في سجن الترسانة ؟ * فاذا كان سعادته وهو من رجال الضبطية القضائية يعلم ذلك علم اليقين ويعلم بأن انساناً سجن ولم تضبط واقعة تمثل جنايته التي استحق عليها السجن في محضر رسمي بصفة قانونية فلماذا لا يسعى في اطلاق سراحه عملاً بالقانون الذي يجب ان تطأطأ له الرؤوس اجلالاً واحتراماً ؟ * بل لماذا داس على القانون بأقدامه وضرب به عرض الحائط ؟ * وكيف يسكت رجال الاحتلال عن هذه الوصمة التي ألصقت بالدستور والنظام وخالفت شريعة البلاد التي أيدها العدل وكانت سبباً في سير الأعمال على قواعد نظامية محترمة استحق عليها المحتلون جزيل الثناء وصالح الدعاء ؟ * وكيف يطعن ذلك الغلام المغرور وأمثاله من « جدعان السياسة » وشبان « النشأة الوطنية » بعد ذلك على الانكليز ويصفونهم بارتكاب الفظائع والمظالم ويتهمونهم بكل منكر مع ان أعلامهم لو لم تكن مرفوعة في البلاد من

أقصاها الى أقصاها لهلكت نفوس وضاعت أرواح وسفكت دماء ولكانت مصر أفظع مما كانت عليه من قبل ؟

لا نعلم سبباً من الأسباب يحمل مثل سعادة محافظ الاسكندرية على أن يضع القانون تحت قدميه ويغمض الطرف عن تحقيق جناية كبيرة ... عزيت الى أحد الأفراد وسجن بسببها الا اذا كان هناك أسباب اخرى مثل ايعاز من المعية أو غيرها تحمله على هذا التغاضي الذي أوقع الحكومة في ارتباك واختباط وجعلها عرضة لسهام الانتقاد ونبال التعنيف التي تخرق الصدور * ان سعادة الدكتور محمود باشا صدقي محافظ الاسكندرية قد نبه الافكار بعمله هذا الذي لا يحسن السكوت عليه مطلقاً لمخالفته النظام والدستور الى بقاء أثر للاستبداد القدم الذي يجاهد المحتلون في إزالته وقلوب المصريين لم تزل وجلة يشوبها شيء من الظنون السيئة ان لم يتدارك أولياء الأمور من المحتلين الأمر ويبيدوا التحقيق ثانية لتبرئة البريء ومعاقبة الجاني كما سبق

لا نريد الاسهاب في هذه الأسباب لئلا يسأم القاريء أو يظن شذوذ القلم أو شطط البنان عن الموضوع * ولذلك

نعود الى البحث والاستقراء في هذه الحادثة المهمة فنقول: ماذا جرى ياترى على أثر الاختفاء الغريب الذي ذكرناه ألا وهو اختفاء

لبون فهمي الارمني المفقود ؟

جرى أن قد ضجت الأمـة وعلت الأصوات وقامت قيامـة الصحف فلعبت الغايات في أنهارها كما تلعب الامواج بالسفن فاختلفت في الرواية والمذهب والميل واعتمدت بالرغم عن اختـلافها على نتيجة الخدمة المأجورة * جرى ان المعية أشاعت في طول البلاد وعرضها ان ليون فهمي الارمني المفقود فر هارباً الى بور سعيد .. وسافر منها الى مرسيليا .. مع أحمـد بك العريس الذي صُرف اليه ٦٠٠ ليرة كما يقال وطلب منه أن يمثل دوراً مهماً في هذه الرواية المزعجة مستندة في ذلك على ذلك التلغراف الملفق الذي ارسل من بور سعيد الى سعادة محافظ الاسكندرية باسم ليون فهمي يخبره فيه انه قاصداً مرسليا ...* جرى ان رجال الصحف « خدمة الحقيقة .. وأنصار العدالة .. » قد أضلوا الاحتلال بما كتبوه من عبارات التموية والتضليل فضاعت الحقيقـة وكان التحقيق

الاول كالاسفار على يسار الارقام وهو ما نطلب من أجله اعادة التحقيق ثانيـة عملاً بما تقتضيه العدالة * جرى ان المعية السـنية سامحها الله تركت الناس في هرجهم ومرجهم والحـكومة في اضطرابها وبلبالها والأجانب في خوفهم ووجلهم ونامت على فرش التعمية والتضليل * جرى ان المعيـة رأت في نومها هـذا حلماً مزعجاً فقامت مذعورة وأطلقت سراح من تصيدتهم من رجال حزب تركيا الفتاة وكانت تريد أن تجعلهم قرباناً لهيكل المابين لقضاء لبانات وحاجات فى نفسها الامارة بالسوء * جرى ان المعية اخذت تستعطف شقيق ليون فهمي وتستكتبه بواسطة جواسيسها عدة مكاتيب على لسان أخيه وطلبت منه أن يقلد امضاءه وتوقيعه ويدعي انها واردة اليه منه ووعدته بانها ستنيله في مقابل ذلك ألفي ليرة أو ثلاثة آلاف فيقضي اذ ذاك عمره مثلهم في ركوب العربات ... والتمتع بالصفاء ... * جرى ان المؤيد لسان حال المعية السنية الجليلة الشريفة وخادم الاسلام والمسلمين ... قام يرمي الحكومة البريئة بالاهمال والتقصير في واجباتها وأخذ ينتقد عليها بالقلم العريض تساهلها الذي رماها به زوراً وبهتاناً ويؤلم عواطفها بجارح القول

في نظام البوليس مستغرباً كيف ان ليون فهمي يقطع ما بين الاسكندرية ... وبورسعيد .. من المسافة الطويلة ... العريضة .. وكيف انه يفر من بور سعيد .. الى مرسيليا .. ولم يقبض عليه البوليس مما لا يمكن حصوله مطلقاً ولو كان ليون فهمي من أهل الخطوة .. * جرى ويا للأسف مما جرى ان المقطم أخذ يشايع المؤيد عدوه الطبيعي تارةً ويرمز الى الحقيقة ويحرض الحكومة على اظهار المتسبب في هذه الحادثة ومعاقبته ويحرك النفوس ويثير العواطف طوراً ثم يتدارك رمزه (وكل ذلك عملاً بحرية الصحافة ..) باحاجي ومعميات يستجلي منها أهل الاختبار ان في المسئلة سراً يعلمه الله

كل ذلك وغيره مما لو فصلناه لضاق بنا المقام قد جرى وهو ما أحدث في النفس الصبوة الى البحث فى هذا الموضوع انتصاراً للحقيقة وقياما بخدمة التاريخ ولو أفضى ذلك بنا الى التعرض لسهام أصحاب الحيثيات الدايرة في هذه البلاد * ولكن لنا وطيد الأمل في ان قراء كتابنا هذا يكونون من أنصار الحق والعدل لا من أشياع المقامات وعباد الجاه الذي ربما كان موهوماً ولنا واياهم من عدالة هذه الايام خير نصير

يقينا ويقيهم شرور التصدي

بسم الله الله اكبر: الله اكبر: الله اكبر: تقول المعية تبرئة لنفسها مما يتهمها به الناس من انها فتكت بليون فهمي فتكاً خفياً وهو ما لا أصدقه ولا اريد أن أصدقه مطلقاً ويقول أنصارها دفاعاً عنها وحباً في أبيضها وأصفرها ان ليون فهمي الارمني المفقود التعيس الحظ غدر برجل من الاهالي في مسئلة الرتب والنياشين له ولاخوته ولزوجته فحنق عليه الرجل وخاف ليون فهمي أن ينتقم منه وحذر سوء العاقبة فهرب * أما نحن فنقول ان هـذا القول تمويه في تمويه وتضليل في تضليل * لأن مثل هذه المسئلة اذا وصل أمرها الى القضاء لا ينظر فيها الا بصفة مدنية لا جنائيـة ولا يحكم فيها بالحبس ولا بالاشغال الشاقة الموقتة أو المؤبدة بل يحكم فيها برد المبلغ المأخوذ فقط كما حصل ذلك في قضية الرتب والنياشين المعلومة* وحيث لا حبس ولا أشغال شاقة فلا داعي الى الفرار * ومع ذلك فمَن هو ذلك الرجل .. الذي غدر به ليون فهمي المسكين وما اسمه .. واسماء زوجته واخوته .. وما مقدار المبلغ الذي أخذه منهم يا ترى ؟ : وفي أي يوم سافر من مصر ؟:

وماهو تاريخ ونمرة البسابورت المعطى اليه وتاريخ ونمرة الورقة الشخصية المستخرجة له من دفاتر الحكومة ليسافر بمقتضاها طبقاً للاصول المتبعة ؟

بسم الله الله اكبر: الله اكبر : الله اكبر: تقول المعية تبرئة لنفسها مما يتهمها به الناس من انها فتكت بليون فهمي فتكاً خفياً وهو ما لا اصدقه ولا أريد أن أصدقه ويقول أنصارها دفاعاً عنها وحباً في أبيضها وأصفرها ان رجلاً اسمه (ليون بك) أخذ ورقة من شركة بواخر المساجيري ببور سعيد وسافر على الباخرة الفرنساوية في اول يوليو سنة ١٩٠١ بعد نصف الليل بساعة قاصداً مرسيليا ومعه أحمد بك العريس البيروتي وان الذين رأوه في بور سعيد لا يعرفون ان كان هو ليون فهمي أو لا * والمتأمل في هذا القول يتضح له جلياً انه كذلك تمويه في تمويه وتضليل في تضليل * وهذا اذا لم نقل انه دليل على المعية لا لها لأن الذين رأوا ذلك المسافر المسمى (ليون بك) لا يعرفون ان كان هو ليون فهمي بعينه أو لا

بسم الله الله أكبر: الله أكبر: الله أكبر: تقول المعية الشريفة الصادقة الطاهرة التقية الجليلة الكريمة السخية البريئة العظيمة

الكبيرة الطويلة العريضة الغبية الزاهدة الصالحة النبيهة الذكية السياسية العاقلة الرشيدة الحكيمة المدبرة تبرءة لنفسها مما يتهمها به الناس من انها فتكت بايون فهي الارمني المفقود التعيس الحظ فتكا خفيا وهو ما لا أصدقه ولا أريدان أصدقه مطلقاً ولو خالفني فى ذلك عشرة ملايين من النفوس ويقول أنصارها دفاعاً عنها وحبا في أبيضها وأصفرها ورتبها ونياشينها ان سعادة افندم احمد بك العريس صاحب الخدم النافعة الجليلة المزايا .. (كما يقول المؤيد الازهر خادم الدين والدولة ..) أرسل من مرسيليا خطاباً مؤرخاً في ٥ يوليو سنة ١٩٠١ الى جورج افندى اسحاق يارد (صاحب جريدة السهام الآن) يقول فيه

« اني أنتظر الآن قيام القطر الى جنيف في سويسرا حيث عزمت على اصدار جريدة هناك باللغة التركية أكشف بها الغطاء عن حوادث الارمن والآستانة ويكون حضرة صديقي ليون افندى فهمي شريكي في ذلك وسأكتب اليك حال وصولي الى جنيف وأخبرك بعنواني وأرجو انك تخبرني في أول كتاب تكتبه اليّ عما يتحدث به الخاصة والعامة عندكم

عن سفري وسفر ايون فهمي » اهـ * وقد اتخذت المعية هـذا الخطاب الذي نشرته في العـدد ٣٧٣٧ من جريدة المقطم الزاهرة الصـادر بتاريخ ١٥ يوليو سـنة ١٩٠١ حجة قوية تؤيد بها فرار ايون فهمي الارمني المفقود التعيس الحظ وتثبت بواسطتها طهارتها وسلامة نيتها وبراءتها مما ينسبه اليها ويتهمها به أولئك الناس الذين لايستحون : وسلاحاً ماضـياً تشهره في وجه وترشقه في قلب كل من يقول ان ذلك الارمني المسكين لم يخرج من أرض مصر .. وان يد الغدر فدفتكت به تحت سماء مصر

أما نحن فنقول ولا حرج علينا ولا ملام ان هذا أحلام في أحلام وكلام في كلام * لأن احمد بك العريس لم يصـدر تلك الجريدة التي أشار اليها بل توجه الى الآستانة مع سمو « أفندينا » وان سموه لما تشرف بتمريغ جبينه على تراب العتبة الحميدية العليا تمريغاً وقبل قوائم التخت السلطاني تقبيلا بعظيم الخضوع والخشوع التمس بكل أدب واحترام من أعتاب مراحم جلالة سيده ومولاه وولي نعمته ومالك رقبته صـدور العفو الكريم عن البك المذكور مكافأة له على ما أظهر من الخدم

الناهمة الجليلة المزايا ... ثم توجه اليك بناء على هذا العفو الى بيروت مسقط رأسه المزنزة الكبيرة وبعد أيام استدعته المنية الى مصر خوفاً على قلبه وهو بركان الاسرار من الانفجار فجاء وعلى خده الايمن كما قالت جريدة الانذار الغراء فى احد اعدادها صورة صالح بك بدرخان وعلى الايسر صورة ليون فهي مرسومتان بخطوط حمراء يراها صاحب الفراسة ولا يراها من غطت دائرة بصره دائرة الدينار: فتى وفي أي يوم اذن اصدر تلك الجريدة مع ليون فهمي ؟

على اننا نترك كل هذه الادلة المنطقية جانباً ونقول اثباتاً لما سبق فذكرناه من أن المنية نامت على فرش التضليل وان سماءها أمطرت مالا طائلا فى سبيل اخفاء الحقيقة ان ذلك الجواب المار ذكره لم يكتبه أحمد العريس الى جورج افندى مطلقاً وانما علي بك شاهين طلب من جورج افندى هذا أن يكتبه اليه وأعطاه فى مقابلة ذلك خمسة وعشرين ليرة ووعده بالمزيد والسعادة !!* ولا يتوهم القارئ انى امزح معه أو أموه عليه وأبالغ له فيما اقول أو انى ممن يحملون الكلام على عواهنه ويكيلون القول جزافا * فانى لما رأيت هذا الخطاب الملفق

لاخفاء الحقيقة والتمويه على العقول منشوراً في العدد المذكور من جريدة المقطم انبعثت فيّ روح البحث والتحري وكنت أعرف جورج افنـدى اسحاق يارد المذكور فـكتبت اليه خطاباً بتاريخ ١٨ يوليو سـنة ١٩٠١ اسأله فيه عن صحة ذلك الجواب المنشور في المقطم واستحلفته بذمته وشرفه أن يوضح الحقيقـة ولا يخشى لومة لائم فكتب اليّ بتـاريخ ٢٠ منـه الـكتاب الآتي وفيه يقول ما ذكرته وهذا نصه بالحرف الواحد

﴿ حضرة الفاضل علي افندي يوسف الكريدلي ﴾

بعد السلام والاحترام : أعرف حضرتكم اني تناولت خطابكم المؤرخ ١٨ الجاري الذي تطلبون به ان أعرفكم عما اذا كان صديقي أحمدافندي العريس ارسل اليّ الخطاب الذي نشر في العـدد ٣٧٣٧ من جريدة المقطم الغراء الصادر بتاريخ ١٥ الجاري أم لا * وحيث انكم قد استحلفتموني بذمتي وشرفي بان أخبركم بحقيقـة الامر فاقول : ان الجواب المذكور لم يرد اليّ من صديقي احمـد افندي العريس مطلقاً وغاية مافي الامر ان حضرة علي بك شاهين كان قـد طلب مني مراراً عديدة ان أكتب له جواباً بهـذا المعنى ودفع لي في مقابلة ذلك خمس وعشرين جنيهاً افرنكياً فاجبته الي طلبه وكتبت له ما نشر في المقطم وزيادة على هذه الجائزة قد وعدني حضرة البك المشار اليـه بكل خير

وسعادة لذا كتبت له هذا الجواب * هذا ملزم وتفضلوا بقبول مزيد احترامي والله يحفظكم الداعي

مصر في ٢٠ يوليو سنة ١٩٠١ (جورج اسحاق يارد)

هـذا ما كتبه الينا ذلك الشاب الاديب وهو ما يدل دلالة صريحة على تلاعب المعية التي يجب أن تستمد الامة منها العدالة والحرية الشخصية وعلى أنها قد موهت على العقول واضلت رجال الاحتلال حتى ضاعت الحقيقة وخرج المتسبب في حدوث هذه الحركة المزعجه التي لم تزل النفوس من أجلها وجلة ضاحكا مسروراً وظافراً منصوراً * فما رأي المعية وأنصارها : بل ما راي الامة باسرها : بل ما راي رجال الاحتلال: بل ما رأي العالم المتمدن :بل ما راي أهل السموات والارض فيه ؟

قلنا ان حادثة اختفاء ليون فهمي الارمني المفقود كانت في مبدأها مغلطة لظنون الخاصة والعامة وبالحري كانت مبدء نعمة جديدة للجرائد الحرة وغيرها وانها نالت حظا وافراً من التضليل والتلفيق والهرج والمرج * ونقول هنا فضلا عما سبق فذكرناه ان من مضحكات الجرائد ومبكيات المعية ان صاحب جريدة البوسته التي تصدر تحت رعاية « حكيم ذي

فنون » قال في العدد ٣٩٥ من جريدته الصادر بتاريخ ١٧ اكتوبر سنة ١٩٠١ انه رأى في اثينا ليون فهمي يصدر جريدة اسمها « البراميد » وعنده مطبعة حجرية وانه حادثه وتضاحك معه من حادثه اختفائه : وانه رأى أيضا صالح بك بدرخان في الآستانة * ثم بعد ذلك قال في العدد ٣٩٦ من جريدته المذكورة الصادر بتاريخ ٢١ اكتوبر سنة ١٩٠١ تحت عنوان « المعية وخفاياها » ان ما قاله في الاول كان مدسوساً عليه بطريقة في منتهى الغرابة ثم طعن على المعية طعناً فاحشاً * وهذا ما كتبه تحت العنوان السالف الذكر بالحرف الواحد: قال

« لاحديث للناس غير اخبار المعية وغرائب جاسوسيتها التي استفحل امرها وتطاير شررها واصبح من اعظم العار واكبر الشنار على الدولة المحتلة أن يجري امام أعين رجالها مايتحدث به الكل من عجائب المعية بل وما يجري تحت الخفاء في الاسكندرية وبورسعيد (كذا كذا) * وقد أحاطت (اسمع أيها القارئ) دسائس المعية بجميع دوائر المطبوعات حتي أن مانشر في جريدتنا البوستة من الكلام بشأن ليون فهمي وصالح بدرخان واحمد العريس مدسوس علينا بطريقة في منتهي الغرابة نرجئ تفصيلها لفرصة أخري * وجواسيس المعية اليوم اشكال كثيرة يتظاهرون بالعداء لبعضهم وهم في الحقيقة متفقون لغاية واحدة هي

سلب الدوهم والدينار بكيفية تدل باوضح دلالة على الغفلة المستحوذة على أدمغة من فى المعية وفقدانهم الروية (كذا كذا) حتي تخيلوا أن المابين الهمايونى يجهل أنهم هم الذين يكتبون الاعلانات التي تمس مقام صاحب الخلافه الكبري ويوعزون لجواسيسها بطبعها وتوزيعها ثم يتظاهرون بكرهها ويجمعونها ليوهموا بانهم متفانون فى خدمة الذات الشاهانية (كذا كذا) * ولدينا الآن معلومات كثيرة من هذا القبيل سنأتي عليها في اعدادنا القابلة فعسى أن يردع المتصعقون بالمعية من خرافيش القوم والسلام «انتهي

وبعدأن كتب ذلك صرف اليه مايليق بقدره الشريف وعين له مرتب شهري فانقاب على عقبيه وعادالى المدح والاطراء والطيور على أشكالها تقع

ومن مضحكات الجرائد ومبكيات المعية أيضاً : بل من التمويه والتضليل والتلفيق والاختلاق ان سعادة الفاضل ابراهيم بك المويلحي صاحب جريدة « مصباح الشرق » البهية الذي يعلم الناس صغيرهم وكبيرهم علاقته الجاسوسية بالمعية السنية كتب في العدد ١٧٩ من جريدته الصادر بتاريخ ٨ نوفمبر سنة ١٩٠١ بضعة أسطر تحت عنوان (الارمني التائه) أظهر فيها اندهاشه من أمر اهتمام الناس بليون فهمى الارمني المفقود ولامهم على اضاعتهم أوقاتهم وازمانهم فى البحث عنه * ثم موه على العقول البسيطة فروى خبراً قال عنه انه آخر خبر ..

ترويه الجرائد اليونانية فى أثينا عن « الارمني التائه » يتضمن ان حكومة اليونان طردت ليون فهمي .. من بلادها لأنه اتخذ داراً كان يعرض فيها العذارى والفتيات ... * واليك نص ما كتبه تحت العنوان السالف الذكر قال :

« لو علم الذين اهتموا فيما مضى بأمر ليون فهمي وما كان عليه في اول أمره وماانتهت عليه اليوم خاتمته لندموا على أوقات أضاعوها فى البحث عنه وازمان صرفوها في الاختداع بخدعته . ودونهم اليوم آخر خبر ترويه عنه الجرائد اليونانية فى أثينا حيث اقام الى اليوم مختبئاً فيها يسخر بما ورد في شأنه من التحقيق والتدقيق * قالت : « طردت حكومة أثينا فى هذه الايام أحد أولئك المنتسبين لحزب تركيا الفتاة واسمه (اسمع أيها القارئ) فهمي — وهو ليون — من البلاد اليونانية لأنه اتخذ له داراً كان يعرض فيها العذارى والفتيات * وقد جاء في أمر الابعاد أن سلوك فهمي مدة اقامته ببلاد اليونان كان غير موافق لآداب البلاد وعاداتها » * انتهي الكذب والتمويه والتضليل

هذا ما كتبته جريدة مصباح الشرق وكله محض اختلاق لانها لم تذكر لنا أسماء تلك الجرائد اليونانية ولا تواريخ صدورها فضلا عن ان كون الحكومة اليونانية تطرد من بلادها شخصاً اسمه (فهمي) لا يؤخذ منه انه هو ليون فهمي ولا يتخذ دليلا على ذلك مطلقاً * ولنضرب لذلك مثلا فنقول : اذا

قالت احدى الجرائد المحلية او غير المحلية ان الحكومة المصرية طردتْ من بلادها رجلا اسمه ابراهيم أو يوسف لانه اتخذ له داراً كان يعرض فيها العذارى والفتيات والغلمان الحسان فهل يؤخذ هذا القول ياترى دليلا على ان ذلك الرجل المطرود هو سعادة المفضال ابراهيم بك المويلحي أو حضرة الحسيب النسيب الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد الاغر المشهود لهما بالصلاح والتقوى والقناعة والزهد وشرف النفس وحميد الخصال وكرم الاخلاق وسلامة النية وطهارة القلب وصدق القول وحرية الضمير وكراهة الكذب وبغض الافتراء ؟ كلا لا يقال ذلك أبداً * فبطل اذاً توهم وجود ليون فهي في أثينا ... كما بطل من قبل بالدليل القاطع توهم وجوده في مرسيليا ...

ومن مضحكات الجرائد ومبكيات المعية السنية أيضاً بل من العجيب الغريب والغلو الفاضح في اخفاء الحقيقة والتضليل على الأمة والحكومة ان جريدة المقطم الحرة قالت في العدد ٣٨٨٢ الصادر بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠١ في سياق ذكر حديثها مع رجل اسمه سليم أفندى شاكر عما كانت تنشره جريدة مرآة الغرب التي تصدر في أمريكا من المقالات

الشـديدة طعنا بالمعية وسياستها وأعلمها ان الرجل المذكور أخبرها بان ليون فهمي لايزال حيا يسعى ... وان تلك المقالات الشديدة كان يكتبها رجل من موظفي المعية السنية وانها رأت بعينها من مدة عريضة ممضاة بامضاء ليون فهمي... ومرسلة من أثينا .. الي مصر بها يستأذن في العودة الي هذا القطر .. وان هذه العريضة مشحونة بالطعن الشنيع والقدح الذميم * وقبل ان نفند هذا القول تفنيداً بالدليل القاطع كما فندنا ما سبقه من الاقوال ننشر هنا ما كتبه المقطم الاغر ليعرفه القارئ وهاهو بالحرف الواحد قال :

« عاد حضرة الاديب سليم افند شاكر بالأمس من نيويورك حيث اتفق مع بعض المحلات التجارية على المتاجرة ببضائعها في الديار المصرية وكنا قد رأينا له رسالة في جريدة مرآة الغرب ينصح فيها لمكاتبها المصري ان يلوي عنان قلمه عن نشر المطاعن والمثالب في سمو الخديوي المعظم لانها باطلة ومخالفة للواقع من جهة ولان نشرها يسوء القراء من جهة أخرى * وقال من جملة كلامه ان ليون فهمي الذي طالما طنطن مكاتبها بذكره لايزال حيا يسعى (...) * فسألناه عن مكاتب مرآة الغرب فقال ان أصحابها قالوا له واكدوا ان مكاتبها رجل من موظفي المعية السنية فاستغربنا ذلك ولا سيما لأنه كان قد شاع ان مكاتبها رجل غير موظف فسخطت عليه الأمة السورية * اما ليون فهمي

الذي قضت الاقدار ان لاتفارق اخباره دوائر الصحافة منـذ عام فقد اطلعنا منذ مدة على عريضة ممضاة بامضائه ومرسلة من أثينا الي هذه العاصمة بها يستأذن في العودة الى هذا القطر * وقد شحنها بطعن قبيح وقول غير صحيح وقول ذميم لايصدر عن خاق كريم * فاذا كان ليون فهمي يهم قوما فما بالهم لايتبعونه الي أثينا حيث يقتفون آثاره ويحققون اخباره» انتهى

هذا ما كتبه المقطم الاغر مما لامحل لتصديقه مطلقاً لان ليون فهمي لم تثبت عليه جريمة مّا ولم يصدر عليه حكم بطرده من البلاد المصرية حتى يكتب عريضة يلتمس بها العفو عنه ويستأذن فى العودة الى هذا القطر * وهل من يكتب عريضة يلتمس بها ذلك يشحنها بالطعن القبيح والقول الغير صحيح ؟ * اللهم اني اعوذ بك من شر ما خلقت ومن الخبث والخبائث وجميع الشياطين * واذا فرضنا ان لهذه العريضة وجود .. فلماذا لانقول ان المعية اوعزت الي أحد جواسيسها في أثينا بان يكتبها ويمضيها بامضاء ليون فهمي الارمني المفقود التعيس الحظ ويرسلها اليها باسمه ؟ * بل لماذا لانقول ان المعيـة استأجرت شخصاً على كتابتها كما فعلت مع جورج افندي اسحاق يارد حيث استكتبته ذلك الجواب المنسوب

وروده اليه من سعادة افندم احمد بك العريس صاحب الخدم النافعة الجليلة المزايا !!! ؟ * ومع كل ما ذكرناه فقد يلوح لنا ان المقطم الاغر نفسه ارتاب في صحة تلك العريضة التي رآها بعينه فحرض الناس من طرف خفي على التوجه الى أثينا لتحقيق الخبر .. * كأنه يقول « اني اكتب ما كتبته اجابة لطلب صاحب مقام سام ونفوذ عظيم في البلاد المصرية واكراماً لخاطره الشريف ... ولكنني لا أصدقه لأنه غير صحيح » : أليس كذلك ؟ * واذا كان ليون فهمي الارمني المفقود حياً يرزق ومقيما في مرسيليا أو في أثينا فلماذا لا تسعى المعية في احضاره من هناك بواسطة الحكومة الفرنساوية أو الحكومة اليونانية لينظره الذين يعرفونه فيكفوا ألسنتهم عن الطعن فيها ولتبرىء نفسها أيضاً مما يقال عنها من انها فتكت به فتكاً خفياً ؟

قلنا ان المعية السنية الكريمة الجليلة الشريفة أخذت تستكتب بواسطة جواسيسها شقيق ليون فهمي الارمني المفقود عدة مكاتيب على لسان أخيه وطلبت منه ان يقلد امضاءه ويدعي انها واردة اليه من أخيه ووعدته بانها ستكافئه على ذلك بالفي أو ثلاثة آلاف ليرة ليركب العربات .. ويتمتع بالصفاء .. *

واثباتاً لذلك نقول ان شقيق ليون فهمي هذا أصدر جريدة توكية اسمها (فرياد) ورسم عليها تابوتا اشارة الي أن أخاه قد شرب كأس المنون * وقد صدر العدد الاول منها في ١٥ شوال سنة ١٣١٩ وفيه صورة عريضة كان رفعها قبل هذا التاريخ الي الجناب العالي يقول فيها ماذكرناه ومالم نذكره مما تبيضُّ منه وجوهٌ وتسوَدُّ وجوهٌ والعياذ بالله تعالى

وهذا نص العريضة المذكورة بالحرف الواحد

« جناب حق عمر وعافيت وشان وحشمت ولي نعمت اعظميلرینی مزدادبیورسون عبد مملوك حكمدار الخميلری ليون فهمينك برادری اولوب درسعادتده مقدار كافی سرمايه ايله مكمل بردكان ايچنده مجالدلك ايله ناموسكارانه تأمين معيشت ايلمكده مصرده ده يوز يتمش ليرا نقد موجود واون ايكی ليرا معاش ايله آلمانيا لي فرانجسقو مايونك معيتنده چالشمقده ايكن برادرملك مساوئ احواليله بونلرك جمله سندن محروم اولدم * فضله اوله رق مومی اليه برادرم كراراً لوورور ايله حياتمی تهديد ايلديكی ده خيلی ذواتك معلوميدر بو اسبابدن طولايی قوللری ذاتاً برادرمدن خشنود دكل ايدم * صكره معلوم دولتلری اولديغی وجهله برادرم مصردن چيقدی * اكر عقوبت كورمش ايسه جزای عمليدر لطف كورمش ايسه اوده حكمت خدادر * چاكرلری برادرملك ايشلرينه اشتراك ايتمديكم كبی باشنه كلان حالاتی قارشديرمغه ده لزوم كورمامش ايدم كونك برنده اتحاد عثمانی مرتبی علكسان صرافيان ايله

عثمان بك عبد الحميد قوللرينى شارع قلوت بكده برخانه يه جلب ايله‌
برادرك ليون فهمينك آغزندن برطاقم مكتوبلر اويدر امضا سنى تقليد
ايت * صكره بز بو مكتوبلردن سكا ايكى اوچ بيك ليرا چيقاريرز فى
ما بعد سنده بزم كبى آرابه لر ايچنـــده صفا ايله مصر ده امرار عمر
ايدرسك . ديديلر . قوللرى اولا : يازه‌مام . بويله ايشلره عقلم ايرمز .
ديدم انلر . بزياز ديريرز . سن يالكز بونلرى برادركدن الديغنى و برادر
ينك خطى وامضاسى اولديغنى ادعا ايت . كافيدر . ديديلر . فقير ده
ايشلرك اصلنه واقف اولدقدن صكره اخبار ايتمك فكريله اولور ديدم
صكره مذكور اوراق علكسان صرافيان طرفندن ترتيب ايتديريلوب
عثمان بك طرفندن تقديم ايدلدى . قوللرى ده حقيقتى اخبار ايتمك
ايستدم . عثمان بك اون ليرا ويروب بش ليراده معاش باغلاتدق دهانه
استرسك كيمسه برشى صورميور بو قدر ايولكلريمه قارشى بيهوده
بكاده كنديكه ده فنالق ايتمه . ديه رك عبد ناچيز لرينى بالاخافه اسكات
ايتدى شمدى بوحيله كار آدملر بودفعه ده كندى طولانديريجيلقلرى
ميدانه چيقمسون ديو عبد مملوكارينى در سعاته آشيرمغه قيام ايده رك
المدن بر استدعاده آلديلر . واقعا احقرلرى آنلر اقناع ايتمامش اولسه
ده در سعادته كيتمك استرم چونكه جمله تعلقاتم اوراده در مع هذا
آنلر غيرتى ايلرولته رك — ولى نعمت ارحم افندمزدن يكرمى بش
ليرا احسان چيقدى اسكندريه ده الكه تسليم ايده چكز . طورمه
ديه رك قوللرينى اسكندريه يه ايندير دكدن صكره آچ وچپلاق بش پاره

سز واپوزه اتمق ايستديلر حسب الاحتياج تبشير ايديلن احسان ولى نعمت اعظميلرينى طلب ايتدم عثمان بك احسانه بدل قوللرينى بالتحقير بيراقوب صاوشدى • سفالتم صوك مرتبه ده در عـدالت ومرحمت جليلهٔ ولى نعمت اعظميلرينه دخالتله در سعادته اعزام بيورلمقلغمى تكرار تمنى واسترحام ايلرم اولبابده »

واليك ترجمة ذلك

« أسأل الله العظيم ان يزيد عمر ولي نعمتي الفخيم ويبارك بعافيته ويضاعف في شأنه (آمين آمين) * ان العبد المملوك لذات المليك الفخيم هو شقيق ليون فهمي * وقد حرمت بمساوئ أحوال أخي من مائة وسبعين ليرة نقدية ومن راتب قدره اثنتا عشرة ليرة كنت أتناوله من خدمة الموسيو (فرنجيسكو مايو) الالماني بمصر على حين كنت أعيش في دار السعادة برأس مال كاف محترفا التجليد عائشاً بشرف * وقد علم عند كثيرين من أهل الوجاهة ان أخي المومأ اليه هدد حياتي بمسدسه ولذلك حنقت عليه * وغير خاف على علم سموكم ان أخي خرج من مصر بعد ذلك فان كان نال جزاءه فعمله رُدّ عليه وان أُحسنت معاملته فبحكمة من الله * واذ كنت غير مشترك مع أخي في أعماله فلم أر من اللائق ان أتداخل في شؤون جلبت اليه الأذى

(كذا كذا) * وفي ذات يوم استحضر عبدكم الى منزل في شارع كلوت بك مرتب جريدة (اتحاد عثماني) الكسان صرفيان وعثمان بك عبد الحميد وقالا لي (اسمع أيها القارئ) « لفق مكاتيب عدة على لسان أخيك ليون فهمي وقلد امضاءه وتوقيعه وسننيلك فيما بعد من هذه الرسائل الفي ليرة اوثلاثة آلاف فتقضي اذ ذاك عمرك مثلنا تركب العربات متمتعاً بالصفاء في مصر »(شيء لطيف) *فقلت لهما « ان عبدكم هذا لا يعرف الكتابة ولا يعقل مثل هذه الأمور»*فقالا (اسمع اسمع أيها القارئ)«نحن نستكتب ذلك وليس عليك الا أن تدعي انك أخذت تلك الرسائل من أخيك مدعياً انها بخطه وامضائه»* أما أنا فقلت بعد ان وقفت على حقيقة الحال يصح ذلك بنية الإخبار فقط * فانقلب هناك الكسان صرفيان يرتب تلك الاوراق ودفعها الى عثمان بك ليقدمها * وقد أردت أن أختبر الحقيقة فامسكني عثمان بك باب أعطاني عشرة ليرات قائلا (اسمع اسمع أيها القارئ) لقدعينا لك معاشاً قدره خمس ليرات فماذا تريد بعد ذلك ؟ * وفي هذه الأيام أخذا مني استدعاء ألتمس فيه الرجوع الى الآستانة ليخفيا هذان المحتالان خداعهما

وغشهما حتى لا يظهر تزويرهما الى عالم الوجود * على انني لو لم يقنعاني بالسفر الى الآستانة (لاصلاح العلائق السياسية طبعاً) فاني كنت أرغب فيه لأن تعلقاتي كلها هناك * ومع هذا فقد تجاوزا حدود الغيرة فقالا انه قد أُحسن اليك من مولانا وولي نعمتنا الرحيم (أطال الله عمره وأدام عزه) بخمس وعشرين ليرة نسلمها اليك في الاسكندرية * ولما وصلت اليها أرادا أن يلقيا بي (اسمع أيها القارئ) في السفينة عارياً جائعاً مفلساً ولما قرصتني الحاجة طلبت الاحسان الذي تفضل به سمو ولي نعمتي عليَّ فاعتاض عنه عثمان بك بان حقَّرني ثم تركني وانصرف وقد بلغت أسفل درجة من الفقر فالجأ الى عدالة ولي نعمتي الاعظم ومرحمته ليأمر بتسفيري الى دار السعادة كما أتمنى والتمس مكرراً»

هذا ما يقوله شقيق ليون فهمي الأرمني المفقود التعيس الحظ مما يقضي بالعجب العجاب ويثبت تلاعب المعية واجتهادها في اخفاء الحقيقة لعدم معاقبة المتسبب في حدوث هذه الحركة المزعجة * ولقد كتب هذا الرجل أيضاً في جريدته المذكورة جملة اخرى تحت عنوان (ليون فهمي) يقول فيها انه علم من الثقات ان أخاه لم يرقط طريق أثينا ولا ميناء مرسيليا وانه كان

يستحق التأديب ولكن ليس بالموت وهذا ما كتبه بالحرف الواحد

« چاپقينلغى حاشاريلغى جمله نك معلومى اولان برادرم ليون فهمينك اتنه ده اولديغنه و بعده مارسليا يه كچديكنه عادتا عالم كبى بنده ايناوب سكوت ايتمشيدم لكن بو دفعه دسترس اولديغم معلومات موثوقه يه نظراً مومى اليه قطعياً نه اتنه يولنى كورمش ، نه ده مارسليا ريختيمنى • انك ايچون حسب الاخوة ايجاب ايدرسه قانمك صوك داملهسنى فدا ايده رك برادرمى ارايه جغم چونكه قرانداشم تأديبه مستحق ايدى لكن اولومه دكل اكر اولومه مستحق اولسه ايدى حكومت جليلهٔ مصريه كندوسنى علناً صلب ايده بيلور ايدى نه حاجت فنا اولسه ده ايو اولسه ده كنديسندن ممنون اولسه مده اولمسه مده قرنداشمدر كنديسندن اصلا وازكچه مم ارامغه ده حقم اشكار در لكن بر نبذه دها توسيع معلوماته احتياجم وارانك ايچون بوبابده معلوماتى اولان ارباب مروتك مرحمتنه التجا ايلديكمى اعلان ايده رك الله رضاسى ايچون معلومات ويره جك ذواتك — اسكندريه ده صرافيه ده بروسه اوتلنده فرياد غزته سى مدير مسئولى علكسندر بول چيچكيان — نامنه مكتوب ارسال بيورملرينى تمنى ايلرم »

واليك ترجمة ذلك

لقد أيقنت بما عرفه الكافة من سوء مسلك أخي ليون فهمي ونزغاته وانه ذهب الى أثينا ومر بعدها بمرسيليا فسكتُّ وصمتُّ * لكنني أخذت مؤخراً أخباراً تنبئني انه لم ير قط طريق أثينا ولا ميناء مرسيليا * فاقتضت الأُخوة من ثمَّ ان أُفدي آخر نقطة من دمي لأُفتش على أخي مع علمي بان أخي كان مستحقاً للتاديب ولكن ليس بالموت (كذا

كذا) * ولو كان استحقه لقدرت حكومة مصر أن تصابه على رؤوس الاشهاد علناً * ومالي وكل هذا فهب انه كان حسن المسلك أو قبيحه أو كنت ممتناً منه أو حانقاً عليه فهو أخي ولا أقدر بحال أن أنفصل عنه وحقي في البحث عنه ظاهر * وأنا محتاج زيادة في المعلومات أن التجئ الى أرباب المروءة ليطلعونى على مالديهم من أخباره * وأرجو أن يتكرموا بارسال خطابات باسمي في الاسكندرية في فندق البورصه باسم (الكسندربول جيجكيان) المدير المسؤول عن جريدة فرياد » انتهى

وحيث قد تبين الرشد من الغي وظهر الحق وبطل الباطل وثبت بالرغم عن تستر المعية السنية الجليلة بتلك السجف البالية مما ذكرناه وأيدناه بالدليل بعد الدليل والبرهان بعد البرهان ان ليون فهي الارمني المفقود التعيس الحظ لم يخرج من مصر ولم ير أثينا ولا مرسيليا مطلقاً لا في اليقظة ولا في المنام وان المعية قد « دفنت » الحقيقة وأضلت رجال الاحتلال بتلك الوسائل « الشريفة » التي تدل على كبير عقلها وعظيم اقتدارها على رتق الأمور وفتقها حتى لا يعاقب المتسبب فى هذه الحركة المزعجة من رجالها * فيجدر بنا ويجب علينا أن نختم المقال بتوجيه الكلام الى ساداتنا المحتلين الكرام فنقول

يا رجال العدل والاصلاح

أيرضيكم وقد قوضتم أركان الظلم والجور ونشرتم أعلام

العدل والحق ورفعتم مكانة مصر فى أعين العالم المتمدن أن تكون مصر ملعباً تمثل فيه المعية علناً ما تقشعر منه الابدان ويخالف النظام والدستور ويشوه محاسن أعمالكم واصلاحاتكم الجليلة التى تشكركم الأمة المصرية بأسرها شكراً جزيلاً من أجلها ؟ * أيرضيكم يا من حررتم الأمم من رق الاسر والعبودية وأنقذتم الشعوب من مخالب الاستبداد وهو ما جعل لكم فى النفوس مكاناً علياً ان تكون فرائصنا مرتعدة وقلوبنا وجلة ونفوسنا منزعجة من هول ما تفعله المعية من الأمور الغريبة والاعمال العجيبة التى تمثل ذلك الاستبداد القديم الذى كلفتم أنفسكم المشاق فى ازالته وتطهير البلاد منه ؟ * أيرضيكم يا آل الاصلاح وحماة العدالة وانصار الضعفاء أن تكون مصر فى عهدكم وتحت ظلكم كغيرها من البلاد الاستبدادية فتخطف فيها النفوس خطفاً ولم يوقف لها على أثر ؟ * أيرضيكم يارجال الدستور والنظام أن تتلاعب بكم المعية هذا التلاعب وان تغشكم هذا الغش الفاضح فى مسئلة اختفاء ليون فهمي الارمني المفقود التعيس الحظ بما استعملته من عبارات التمويه والتضليل اخفاء للحقيقة ولعدم معاقبة المتسبب فى هذه

الحركة المزعجة التي ستكون نقطة سوداء في تاريخ احتلالكم ان لم تعيدوا التحقيق ثانية ليظهر المتسبب ويعاقب عقاباً شديداً؟ * أيرضيكم أن تهدم المعية في يوم واحد ماشيدتموه في أعوام وان تقف حجر عثرة في سبيل تأييد مبادئكم الاصلاحية وتوطيد أركان الأمن والراحة مع انكم لم تحتلوا بلادنا الا لتنشروا راية العدل على رؤوس أهلها وتحموا أنصار الحق وحماته الذين حلت مبادئكم الشريفة في أفئدتهم محلاً عالياً ؟* اذا كان هذا يرضيكم وهو ما نجلكم عنه فسلامٌ ثم سلامٌ على العدالة والحرية * اذا كان هذا يرضيكم فماذا نفعل وكيف نحافظ على حياتنا والى من نشكو أمورنا مما يصيبنا ؟ * اذا كان هذا يرضيكم فدعوا الظالمين يرتعون ويلعبون ويمزقون القلوب بخناجرهم ويفتكون بالارواح والنفوس فتكاً ذريعاً * ولكن يجب أن لا تكونوا في مصر حتى لا تلتصق بكم تلك الوصمات الشنيعة ويحكم التاريخ عليكم بما لا ترضونه لأنفسكم

واذا كان هذا لا يرضيكم وهو ما لا نشك فيه مطلقاً لما نعهده فيكم من شرف النفس وحرية الضمير واحقاق الحق فاعيدوا التحقيق ثانية لاظهار الحقيقة ومعاقبة الجاني * اعيدوه

لتقفوا على أسرار عميقة حيث قد تبين لكم مما ذكرناه وأيدناه بالدليل القاطع ان ليون فهمي لم يخرج من مصر مطلقاً وان المعية قد « دفنت » الحقيقة بما استعملته من عبارات التمويه والتضليل

يا رجال النظام والدستور

لقد ضاق ذرع الحر وأظلم جو الأمن وغيمت فى سماء العدالة غيوم الاستبداد ان لم تتداركوا هذه الاهوال فتتلافوها بحكمتكم وتلك الشرور فتحسموها بفطنتكم لئلا توصموا بوصمة الاهمال المعيب الذي هو شعار الشرقيين عامة والمصريين خاصة * تطالبكم الانسانية ويحملكم الشرف على تقرير العدل وسيادة الانصاف واضطهاد كل مبادئ الظلم والاعتساف واعادة التحقيق فى هذه المسئلة الخطيرة عسا كم تريحون باظهار الحقيقه ومعاقبة الجاني قلوباً مضطربة ونفوساً منزعجة * ان صوت ليون فهمي يناديكم من مكانه قائلاً العدالة العدالة : التحقيق التحقيق : فجدير بكم وقد ضربت الامثال بعدالتكم أن تلبوا هذا النداء وتحلوه محل القبول والاصغاء احقاقاً للحق وتبرءة لأنفسكم مما يتهكم به أعداؤكم الذين أبت طباعهم الشريرة الا أن يتهمونكم بما ليس فيكم

وينكرون عليكم مالكم من محامد الكمالات ومحاسن الصفات
أيرضيكم ان تلعب المعية فصولاً مدهشة على مرأى
ومسمع منكم وأنتم تنظرون ولا تتحركون؟ * أيرضيكم أن
يقال عنكم ان المعية قد أعجزتكم عن اصلاحها وتحري كل
النسب التي تنسب اليها وغير ذلك مما يحط من قدركم الشريف
مع انكم أصلحتم بلاداً كثيرة وهيأتم لأهلها أماناً وراحة؟ *
أيرضيكم أن يشيع عنكم جواسيس المعية فى طول البلاد
وعرضها بسبب سكوتكم هذا وعدم تداخلكم فى شؤونها
لاصلاحها ان المعية قد وقفت لكم على سيئات تخشون
ظهورها وعيوب تتقون افتضاحها لو قاومتم مبادئها المعلومة
وقمعتم مطامعها وكبحتم كبحة شكيمة جامحها مع اننا وكل
معجب بكم ومتباه بأعمالكم الجليلة لا نرى لكم من سيئة
أو سريرة فاسدة تضطركم للخوف من هذه المعية وعدم
التفاتكم اليها ودخولكم فيها لتطهيرها واصلاح فاسدها؟ *
اذا كان هذا يرضيكم فاين حكمتكم المشهورة وأين اقتداركم
على فتق الأمور ورتقها؟ * واذا كان لا يرضيكم فادخلوا فيها
وتداخلوا فى شؤونها وانهضوا وحاربوا هذه الاعمال الاستبدادية

التي تتسلط على نظام البلاد فتفسده وعلى دستور المساواة والحرية فتقضي عليه قضاء مبرماً

يا رجال العدل والحق

ان من العار عليكم ثم ان من العار عليكم ان لا تضربوا على أيدي الظلم وتطاردوا شرور الاشرار وان يختفي صالح بدرخان وليون فهي من مصر في عهدكم وتحت ظلكم ولم يوقف لهما على أثر * ان من العار عليكم ثم ان من العار عليكم ان تتركوا مصر ميداناً لأُولي الدسائس والفتن يفعلون فيها مايشاوون وان تتركوا الخواطر قلقة والنفوس منزعجة بسبب هذا الاختفاء المريع * هذا كتابنا نقدمه اليكم وقد تضمن من الاسرار والحقائق وحوى من صور المراسلات البرقية التهديدية مايوجب اهتمامكم به والتفاتكم اليه * اذ لا معنى لأن يقوم ابراهيم أدهم وغيره من امثاله ويهددون المعية والحضرة الخديوية تهديداً شديداً بلسان البرق ويقلقون راحة الجناب العالي ويطلبون منه المال الوافر بجرأة غريبة عجيبة وهو يغمض جفنيه ولا يحيلهم على المحاكمة الا أنهم وقفوا على حقائق أُمور مكنونة يخشى سموه افتضاحها ولا يريد انتشارها لانها تحط من قدر المعية

في أنظار الأمة وتجعلها محقرة مهانة مبتذلة تعافها العواطف وتشمئز منها النفوس * ويا ليت الامر قاصراً على ما تضمنه هذا الكتاب من الرسائل البرقية وغيرها بل هناك بلا شك ولا ريب رسائل أخرى من هذا القبيل تمثل أموراً فظيعة باتت فى دائرة المعية لم يعلم بها الا مرسلوها ويمكنكم ان تقفوا عليها من مصلحة التلغرافات العمومية .

نحن نطلب منكم اعادة التحقيق لمعرفة الجاني ومعاقبته عملا بما تقتضيه العدالة * واذا غاب عنكم سبيل الوصول الى الحقيقة فاني أقترح عليكم أمراً يسهل لكم الوصول اليها بدون عناءٍ كبير : وهو ان تأمروا بالقبض على ابراهيم أدهم مُرسل ذلك التلغراف الشديد المنشور فى صحيفة ٤٦ وصحيفة ٤٧ من هذا الكتاب وتسألونه عن تلك الاسرار الهائلة التي هدد سمو الجناب العالي بافشائها والتكلم بها علناً بلا خوف ولا وجل اذا لم يأمر سموه بصرف راتبه اليه وعن أسباب تعيين هذا الراتب له * وأن تأمروا أيضا بالقبض على أحمد العريس وعثمان عبد الحميد وأحمد كمال وغيرهم من صنائع المعية وجواسيسها الذين أقلقوا الخواطر وأرعبوا القلوب وتسألونهم أيضا عن

أسباب تداخلهم فى المعية ولماذا عُين لهم تلك المرتبات الشهرية العظيمة * اقبضوا عليهم بيد من حديد وضيقوا عليهم تضييقاً شديداً ولا تطلقوا سراحهم حتى يقولوا لكم الحق ويعترفوا به * ولا تنسوا القبض على عزت بك وعلي بك شاهين وحسين بك زكي وعطيه افندي وغيرهم من رجال المعية الذين لهم شان عظيم في هذا الحادث الجلل والخطب الجسيم * فانكم لو فعلتم هذا وراجعتم التلغرافات التهديدية وغيرها المرسلة من زيد وعمرو الى القبة وعابدين ورأس التين وقبضتم أيضاً على أصحابها وسألتموهم عن الأسباب التي دعتهم الى ارسالها تظهر لكم الحقيقة التي لاريب فيها فتعاقبون المجرم الأثيم على ما جنته يداه ولو كان عظيما كبيراً في هذه البلاد اذ لا محاباة فى الحق الذي هو شيمتكم ولا مراعاة فى العدل الذي هو شعاركم

هذا ما نقترحه عليكم ونلتمس اجابته منكم ولكم الراي الاسمى والفكر الأعلى فيما يجب اجراؤه لاعادة التحقيق ومعاقبة الجاني * لازال سيف عدلكم على رقاب الظالمين مسلول ولا برحت مصر في عهدكم وتحت ظلكم الظليل في سعادة وهناءٍ وتقدم وصفاءٍ آمين.

خاتمة الكتاب

في اظهار أفضلية جلالة سيدنا ومولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني الاعظم حفظه الله على سمو الجناب الخديوي المعظم

علم القارئ الكريم مما ذكرناه في الفصول الماضية مالم يكن يعلمه من قبل من الاعمال الخطيرة التي تشهد للمعية السنية العباسية الجليلة الكريمة بالشهامة وكرم الاخلاق وشرف النفس وعلو الهمة والاقتدار على الاعمال العظيمة المتوقف عليها تقدم الاسلام والمسلمين وتأييد كلمتهم وتعزيز صولتهم وتقوية شوكتهم * وتدل على دهائها وكبير عقلها وغزارة مادتها وسمو مداركها وطول باعها وسديد رأيها وبعد نظرها في المسائل السياسية الدولية * ولعمري ان تلك الاعمال « الشريفة » قد جعلت للمعية السنية في دوائر أوروبا السياسية شهرة كبيرة ربما فاقت شهرة المابين وكل من سار على الدرب وصل * ولا عجب اذا أصبح المصري بسبب ذلك يتيه عجباً ويميس طرباً ويشمخ بأنفه الى السماء ويفتخر على غيره من أبناء آدم وحواء ويخاطب ساسة أوروبا الذين طالما رموه بالضعف

والكسل والخمول وعيّروه بعدم الاقتدار على أي عمل قائلاً « ماذا تقولون اليوم أيها الساسة وقد منّ الله علينا بعمية طويلة عريضة سنية جليلة كريمة نخيمة أقل واحد من رجالها في عصر مولانا العباس الأنور وتحت ظله الظليل أسمى منكم فكراً وأكبر عقلاً وأبعد نظراً وأشدّ عزماً وحزماً وهمة ونشاطاً وأطول باعاً وأغزر مادةً وأكثر قدرةً على حل المشكلات السياسية حلاًّ سلمياً بغير سفك دماءٍ وبدون اطلاق قنابل وعلى تأليف العصابات التهديدية وتحسين الملائق السياسية بين الدول وبعضها وجمع شمل المحبين واصلاح ذات البين بينهم خدمةً للوطن والانسانية والمدنية ؟ * ماذا تقولون وقد أتى رجالنا في الايام الأخيرة بما تعجزون عنه ولا يقدر أحد من شيوخكم كغلادستون وسالسبوري ودزرائيلي وبسمارك وكريسبي ولوبيه وغيرهم أن يأتي بجزءٍ من الف منه ؟* هل تقولون بعد ذلك اننا غير كفؤ لتولي الاعمال الخطيرة ولا قدرة لنا على أن نحكم أنفسنا بانفسنا كما كنتم تقولون ذلك من قبل أم تشهدون لنا بالكفاءة والاقتدار ؟ »

ونظراً لما نشرته « جهينه » بقلم أحد رجال المعية كما يقال

في العددين ٢١ و ٢٢ من الخرافات والاكاذيب التي حاول كاتبها أن يثبت ان الجناب الخديوى المعظم أفضل بكثير من جلالة سيده ومولاه وولي نعمته السلطان الاعظم وان سموه لو كان مكان جلالته لكانت الدولة في صولةٍ ومنعةٍ ولكانت ترهب العالمين باساً وعزةً الى آخر ما أشرنا اليه في صحيفة ٣٢ من هذا الكتاب مما لا يرضى به سمو العباس « قرة العيون » مطلقاً على ما نظن ولا يصدقه أحد من العقلاء أيضاً * فقد أحببنا أن ندحض هذا الهذيان بالدليل والبرهان خدمة للحق الذي يعلو ولا يعلى عليه حتى لا ينخدع بعد ذلك البسطاء بما يقوله الاغبياء

فاما كون جلالة سيدنا ومولانا وولي نعمتنا ومالك قلوبنا ورقابنا السلطان عبد الحميد خان الثاني الاعظم أدام الله حياته الشريفة أفضل بكثير من سمو خادمه عباس حلمي الثاني خديوي مصر السابع وان سموه لا يضارع جلالته بشيءٍ مطلقاً فهو لأسبابٍ كثيرة ووجوه عديدة نكتفي بذكر بعضها هنا وان كان الأمر لا يحتاج الى بيان ولا يختلف فيه اثنان إذ لا يتيسر حصرها كلها فنقول

(١) ان جلالة مولانا السلطان الاعظم حفظه الله هو

خليفة الاسلام والمسلمين وله سلطة دينية على ٣٠٠ مليون من النفوس وهم المسلمون في مشارق الارض ومغاربها وكلهم يدعون لجلالته بالنصر والظفر وطول العمر والبقاء ودوام العز والتأييد ويخطبون باسمه الشريف في جوامعهم المقدسة ويفدونه بالنفائس والنفوس ويحتفلون بعيد ميلاده وعيد جلوسه احتفالاً بليغاً وينفقون في ذلك الاموال الطائلة بدون اجبارٍ ولا اكراهٍ ولا يتأخرون عن تقديم ما يطلبه منهم وتنفيذ ما يأمرهم به مهما كلفهم ذلك من الاتعاب والمشاق * ويقولون ان مَن أطاعه فقد أطاع الله ورسوله ومَن عصاه فقد عصى الله ورسوله

وأما سمو الخديوي فليس بخليفة ولا سلطة دينية له على أحد من المسلمين كما لجلالة سيده ومولاه السلطان الاعظم * ولا يُحتفل بعيد جلوسه الا في مصر فقط بسعي بعض الافراد دون غيرها من البلاد الاسلامية * ولا يُخطب باسمه في الجوامع ولا يخضع لسلطته ولا ينقاد لأمره مسلمو الصين «مثلا» الذين ربما لا يعرفون اسمه كما خضعوا لسلطة جلالة السلطان وانقادوا لأمره بكل خضوعٍ وخشوعٍ واجلالٍ وتكريمٍ عند وصول ذلك الوفد الذي أرسله جلالته اليهم ولا يمكن أن

تسمع له كلمة أو يجاب له طلب اذا قام فى ذات يوم يطلب من المسلمين أن يمدوه باموالهم ليحارب الانكليز ويخرجهم من مصر « مثلا » كما أجابوا طلب جلالة السلطان الاعظم وأمدوه عن طيب نفس ورضاء خاطرٍ باموالهم في الحرب اليونانية الاخيرة * ولا يقول أحد من المسلمين فى العالم ان من أطاعه فقد أطاع الله ورسوله ومن عصاه فقد عصى الله ورسوله

(٢) ان جلالة مولانا السلطان الاعظم حفظه الله له سلطنة كبيرة عظيمة مؤلفة من خمسة وثلاثين مليونا من النفوس المختلفة المذاهب والمشارب ويقاوم أعداءه الداخلين والخارجين ولا يصادف مايخالف رضاه العالي مطلقاً * وهو صاحب السلطة المطلقة فى جميع الأمور والشؤون وله الامر والنهي والحل والربط فى مملكته فيعطي لمن يشاء وينزع ممن يشاء ويعزل من يشاء ويولي من يشاء وينتقم من أعدائه بعدله وحكمته ويبدد شملهم ويفرق جمعهم كيفما أراد وفي أي وقت شاء * وزد على ذلك ان جلالته ايده الله بروح منه وحفظه من كل سوءٍ من سلالة عائلة ملوكية كابراً عن كابرٍ طيبة شريفة طاهرة جليلة شهيرة سخية كريمة المحتد والمنصب عظيمة

الجاه قوية النفوذ مسموعة الكلمة شديدة البطش محبوبة لدى كل انسان وممدوحة بكل لسان في كل زمان ومكان * ولها من الفضائل العظيمة والمآثر الجليلة على الاسلام والمسلمين مايعز حصره ولا يُستطاع عدّه * وماذا عسى أن يقول الانسان عن هذه العائلة السلطانية الكريمة التي حافظت على الدين القويم ستة قرون ودافعت عنه دفاعاً عظيماً دل على حسن ايمانها وشديد غيرتها عليه ومحبتها له وتمسكها به سوى انه لولا هذه العائلة الشريفة لمات الاسلام وضاع مجده وعفت آثاره وانهدمت أركانه

وأما سمو الخديوي فهو حاكم على ولاية وان كانت مستقلة في أحكامها الداخلية ولها نظامات مخصوصة كجبل لبنان الا انها تابعة لتلك المملكة العظيمة ولا يزيد عدد نفوسها عن عشرة ملايين * وهو من خدمة وعمال جلالة السلطان الاعظم وتحت أمره ورئاسته * ومع ان الاحكام في القضايا تصدر باسم سموه طبقاً لأحكام الفرمانات السلطانية الا ان الامر والنهي والحل والربط والعزل والتعيين في يد أولياء الأمر من رجال الحكومة كما ذكرنا ذلك في المقدمة وفصلناه تفصيلا كافياً * وقد يلاقي سموه في بعض الاحيان ما يخالف رضاه ويكدر

خاطره مثل مسئلة الحدود التي حدثت في سنة ١٨٩٤ ولم يزل صداها يرن في الآذان الى الآن ولم ينته أمرها الا بذلك الاعتذار الرسمي المشهور * ومسئلة الزينة التي أُقيمت له في دمنهور باجبار الناس على اقامتها اجباراً وعزل بسببها سعادة احمد باشا خيري مدير البحيرة سابقاً * ومسئلة الوزارة الفخرية * وحادثتي الثور والمطبعة العثمانيـة وغير ذلك مما لا يبرح عن الاذهان ويعلمه كل الناس من قاص ودان * ولا يستطيع سموه أن يقاوم أعداءه مطلقاً ولا أن ينفي أحداً من الناس الى احدى الجهات بمجرد ارادته كما يفعل جلالة سيده ومولاه السلطان الاعظم بغير منازع ولا معارض * ولا يسع سموه أن ينتقم لنفسه من ألد أعدائه الا اذا طالبه بحقه برفع القضية عليه وطلب مجازاته قانوناً كما يفعل كل فرد من الناس اذا أُهين أو أُهتضم حقه * فأي فائدة اذن من استخدام معية سموه كثيراً من الجواسيس المختلفة أجناسهم وأشكالهم برواتب باهظة لو انفقها على ماينفع رعيته لكان خيراً وأدعى لحب الناس لجنابه الرفيع * وزد على ذلك ان سموه من سلالة ذلك الجبار محمد علي الذي حارب المسلمين تلك الحروب الهائلة وخرج على خليفة الاسلام ذلك الخروج

المقوت الذي كان من نتائجه ضعف الأُمة الاسلامية الى الآن

(٣) ان جلالة مولانا السلطان الاعظم حفظه الله له أن يضرب السكة باسمه وان يتعاقد مع أية دولة أوروبية بما تمس الحاجة وتدعو الضرورة اليه * فله أن يقترض من فرنسا «مثلا» ما تحتاج الدولة اليه من المال وان يحالف انكلترا على الحرب ضد الروسيا وغير ذلك مما لا يخفى على القارئ ما فيه من المزايا الجليلة التي تدل على الاستقلال التام

وأما سمو الخديوي فليس له شيء من هذا على الاطلاق إذ لا سكة باسمه مضروبة ولا محالفة دولية مكتوبة

(٤) ان جلالة مولانا السلطان الاعظم حفظه الله قد شهدت له الاعداء قبل الاصدقاء بالدهاء السياسي والبراعة الفائقة في فتق الأُمور ورتقها حسب ما يروم جلالته حتى انهم لقبوه بأعظم ساسة العالم * ويؤيدون ذلك بانخذال الدول الاجنبية في المسئلة الارمنية ورجوع أساطيلها من مياه الدردنيل بخفي حنين حيث كانت اجتمعت هناك لتهديد جلالته باطلاق القنابل وتخريب الآستانة اذا لم يجبها الى طلباتها * ولجلالته حفظه الله وابقاه خبرة تامة باحكام الشريعة السمحاء

وشفقة عظيمة على جميع افراد رعاياه * وهذا الأمر أشهر من نار على علم والعثمانيون كلهم يشهدون بصحة ما ذكرناه في هذا الباب

وأما سمو الخديوي فلم يشهد له عاقل ولا سياسي في العالم بشيء من ذلك لبعده عن الشؤون السياسية المناطة بجلالة مولاه السلطان * وجل ما يعلم عنه ان له الماماً بالزراعة مما ينفعه نفعاً خاصا دون غيره * وكل الناس يقولون ان سموه لو كان مكان جلالة سيده ومولاه وولي نعمته السلطان الاعظم لخضع في ذلك اليوم لتهديدات أميرالية تلك الاساطيل وخرّ لهم ساجداً ولفتح لهم أبواب دار الاسلام وسلمهم مفاتيحها بيده الشريفة * ولقضى على الاسلام والمسلمين قضاءً مبرماً لانه غير كفؤ لحفظ بلادهم والدفاع عنهم وعنه عند مسيس الحاجة * ولا يقال ان سموه عارف بعدة لغات وجلالة سيده ومولاه وولي نعمته السلطان الاعظم لا يعرف الا اللغة التركية وقليلا من العربية فان معرفة اللغات لا تعود بنفع على صاحبها اذا كان لا يتقن الكتابة بها ولا يقف على ما دُوّن فى تلك اللغات من العلوم والفنون * ويكفي الرجل فضلا أن يكون ممارساً للغة واحدة وواقفاً على ما دُوِّن فيها من العلوم والفنون *

وهـذا ما نحكم بل ما يحكم به جميع العثمانيين لجلالة مولانا السلطان الاعظم ولا نجـد سبيلا للقول بأن سمو الخديوي الذي هو عبد جلالته وخادمه المتمرغ على تراب عتبته العليـة يستحق هذا الحكم العادل الشريف

(٥) ان جلالة مولانا السلطان الاعظم حفظه الله سخي ينفق أموالا طائلة فى كل وقت على الفقراء والمعوزين وأبناء السبيـل وعلى تشييد الجوامع والمدارس والتكايا والمكاتب وتسفير الفقراء من حجاج بيت الله الحرام على اختلاف أجناسهم ونحو ذلك مما تنشره جرائد الآستانة وغيرها من الجرائد التي تصـدر في البلاد العثمانيـة وتنقله عنها الجرائد الأخرى * ولو لم يكن لجلالتـه من المآثر الحسـنة والايادي البيضاء والاعمال المشكورة والمساعي المبرورة التى تخلد لجلالته حسن الذكرى غير السكة الحديدية الحجازية لـكفته فخراً

وأما سمو الخـديوي حفظـه الله للاسـلام والمسلمين وجعـله غرة فى جبين الدهر فلم نسمع عنـه انه بنى جامعاً عظيما على نفقته الخصوصية لاقامة الشعائر الدينية * ولا شيد مدرسة كبيرة لتعليم ابناء فقراء المسلمين مجاناً مرضاة لوجه

الله الكريم مع علم سموه بما نحن فيه من الجهل الفاضح والانحطاط الهائل ومقدار احتياجنا الى التعليم * ولم نسمع عنه أيضا انه أحسن على فقراء الحجاج المصريين الذين توجهوا لتأدية فريضة الحج الشريف واقعدتهم نكبات الأيام عن الرجوع الى بلادهم بشيء من المال يستعينون به على ذلك حتى كادوا يموتون جوعا فى تلك البلاد الطاهرة لولا ان شملتهم عناية الحكومة السنية وارجعتهم على نفقتها * ولم نسمع عنه أيضاً انه تبرع بخمسة آلاف أوعشرة آلاف جنيه « مثلا » اعانة لتلك المدرسة الصناعية الوطنية «المسماة باسم جده » التي ستفيد الأُمة فوائد جمة ان شاء الله تعالى * بل غاية ماسمعناه عنه انه انشأ مكتبا صغيراً فى القبة وآخر مثله في المنتزه لتعليم نفر من أولاد الفلاحين الذين يشتغلون في مزارعه الخصوصية مبادىء القراءة والكتابة * وتبرع بمبلغ مائة جنيه فقط للمدرسة الصناعية « المسماة باسم جده » أي انه تبرع بنصف ماتبرعت به صاحبة الصون والعفاف الست بهيه هانم افندي كريمة المرحوم برهان باشا * وبجزء من ألف بل من عشرات آلاف مما صرف ويصرف على التجسس

والوشايات ودس الدسائس والفتن وتأليف جمعيـة « شفق » السافلة لتهديد جلالة سيدنا ومولانا السلطان الاعظم وتصيد الاحرار لردهم الى الاستانة واسترضاء أصحاب الجرائد القادحة ومكافأة أصحاب الجرائد المادحـة والايعاز الى الجواسيس بضرب هـذا وذاك من عباد الله الضعفاء وغـير ذلك من الاعمال الصبيانية * وأسس فابريقة صناعية تجارية في مريوط لعمل الزجاج ومركبا تجاريا لنقـل الحجاج بالأجرة ومـدّ السكة الحديدية فى أراضيه السنية كما مدّ جلالة مولاه وولي نعمته السـلطان الاعظم السكة الحديدية الحجازية * ويقول بعضهم ان القصد من انشاء تلك الفابريقة ومد هـذه السكة هو تدريب المصريين على الاعمال الصناعية والتجارية الخطيرة وادارة شؤونهم بانفسهم حتى اذا خرج الانكليز من مصر ذات يوم بحركة الغـلام وبركة الشيخ تكون فى البلاد معامـل صناعية تفي بحاجات أهلها وتغنيهم عن الواردات الاجنبية واذذاك تستطيع الامة ان تحكم نفسها بنفسها

(٦) ان جلالة مولانا السلطان الاعظم حفظه الله يحب جميع افراد عائلته الطاهرة الشريفـة ويحافظ على كرامتهـم

ويغار على شرفهم * وتأبى نفسه الأبية الشريفة وأخلاقه الحسنة الحميدة ان تتهكم الجرائد على أحد منهم أو ان ترسمه رسما قبيحا شنيعا يحط من قدره ويضحك الناس عليه * ولا يسمح لأية أميرة من الاميرات السلطانيات المعظمات المصونات بالخروج الى الاسواق والتهتك بين الناس مما يخالف الآداب الاسلامية الصحيحة * ولا بمخالطة الرجال والتوجه الى أوروبا للرياضة وتبديل الهواء ولو كان معها ألف خادم وألف خادمة لخدمتها والمحافظة عليها * ولا بركوب العربات والتوجه بها الى المحلات العمومية بصفة تستلفت الانظار

وأما سمو الخديوي الحر الكريم فانه وان كان يحب افراد عائلته الا انه لا يمنع اية أميرة من الاميرات الخديويات الجليلات الشريفات الطاهرات المخدرات المهذبات من التوجه الى اية جهة ارادت وبأية صفة شاءت * بل ترك حفظه الله لجميعهن الحرية التامة فى أعمالهن فلهن ان يتوجهن «تحت ظله الظليل» الى أية جهة اردن ويتكلمن مع من شئن ويضحكن مع من اردن ويسرن مع من أحببن * ولهن أيضاً ان يذهبن « تحت ظله الظليل » الى باريز وغيرها من البلدان الاجنبية للرياضة وتبديل

الهواء وابتياع الحاجيات والكماليات وهناك يسرن مكشوفات الوجوه كالاوروبيات * ويغض الطرف عن أمور كثيرة لا حاجة بنا الى ذكرها هنا وانما نذكر منها على سبيل المثال فقط انه اذا تهكمت جريدة هزلية كجريدة (أبو زيد) التى كانت تصدر فى مصر على نفقة المعية السنية كما يقال على احد افراد عائلته العظيمة مثل عمه صاحب الدولة والوقار والكمال والفخار البرنس حسين باشا كامل «مثلا» أو غيره بتصويره بشكل تمجه الاذواق وترفضه الآداب فلا يظهر أقل اهتمام ولا يشير على صاحب تلك الجريدة وهو من المقربين اليه بالامتناع عن ذلك حفظا لكرامة العم الذي يجب احترامه شرعا وأدبا لأنه في مقام الوالد بل ينظر الى الرسم ضاحكاً مسروراً كأنه من الاشياء السارة * هذا شيء ذكرناه على سبيل المثال فقط كما قلنا وربما كان ذلك التغاضي أو التغافل حبًّا في اطلاق الحرية للمطبوعات وهو ما يقابله أصحاب الصحف وحملة الاقلام بمزيد الثناء

هذا قليل من كثير من أوجه أفضلية جلالة سيدنا ومولانا السلطان الاعظم حفظه الله على سمو خادمه المتمرغ على تراب عتبته العلية * وكنا نود أن نطلق العنان لجواد اليراع

ليبحث في الموضوع من كل طرف وليقارن بين المولى وخادمه من كل وجه*ولكن حال بيننا وبين ذلك ضيق المقام * ولذلك فاننا سنعود الى هذا الموضوع المهم ثانية ونجعله خاتمة للجزء الثاني والله الهادي الى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل

بيان

لا يظن عاقل اني ألفت هذا الكتاب لغرض شخصي كما يفعل الذين لا يهمهم الا الحصول على مطامعهم الأشعبية* بل غرضي من ذلك هو ان تتألف القلوب على محبة جلالة مولانا الخليفة الاعظم الذي هو امام المسلمين وكعبة آمال الموحدين * وهو الذي بفضله وحسن مآثره ألّف بين قلوب المؤمنين فى كافة انحاء المعمورة واحيا لقب الخلافة العظمى* وناهيك برهاناً على مانقول اندفاع أغنياء المسلمين فى أقاصي البلدان من الممالك التي تحكمها الاجانب الى مساعدة مشروعاته الجليلة كمشروع انشاء سكة حديد الحجاز العظيم الذي ماخطر على قلب سلطان من السلاطين المتقدمين حتى أبرزه جلالة مولانا الخليفة الاعظم بفكره الثاقب من حيز القول

الى حيز الفعل * وتلك المآثر الجليلة هي بذاتها التي قامت برهاناً ساطعاً على ارتباط قلوب الموحدين بذاته الشريفة * فاللهم وفقه الى مافيه الخير للملة والدولة والاسلام والمسلمين

ذيل

حكمت محكمة الاستئناف الاهلية بتاريخ ٢٤ ابريل سنة ١٩٠٢ في قضية المطبعة العثمانية بالغاء الحكم الابتدائي بكامل أجزائه و الحجوز من جملتها وبرفض دعوى رضى البحري والزامه بالمصاريف واتعاب المحاماة * وقبل صدور هذا الحكم العادل سعت المعية السنية في أخذ مافي المطبعة من الاوراق السرية لحاجة في نفسها ولكنها لم تنجح * وقد أرسل صاحب « جهينه » بتاريخ ١٩ ابريل شكوى تلغرافية الى فخامة اللورد كرومر فنبه الحكومة فأمرت رجال الحفظ بالدخول في المطبعة وأخذ تلك الاوراق وارسالها اليه حيث تبقى الى ماشاء الله في دار الامن والعدل والحرية * أما صالح افندي جمال فقد انتقل الى رحمة ربه في يوم ١٧ ابريل * واليك صورة التلغراف المذكور أعلاه

فخامة اللورد كرومر بمصر

خمسمائة عائلة تهلك نفوسهم وتزهق أرواحهم ان تمكن خديري مصر من فتح مكتب المطبعه العثمانية وأخذ المكاتيب التي تتضمن شكوى الاحرار في تركيا . يريد الخديوى تقديمها للسلطان . فنسألك باسم الانسانية ان تتوسط لدى الخديوى ان يأمر وكلاءه بتأجيل فتحها حتى تفصل في الأمر محكمة الاستئناف بعد ثمانية أيام . انتهى

تم طبع الجزء الاول ويليه الجزء الثاني ان شاء الله

